شبهات وافتراءات حول الرسول (صلى الله عليه وسلم)

وردود كبار العلماء عليها





الصاعقة فى الرد على الزنادقة



محمد عبد الحليم عبد الفتاح

شبهات وافتراءات حول الرسول ﷺ

وردود كبار العلماء عليها

اسم الكتاب : شبهات وافتراءات حول الرسول ﷺ وردود كبار العلماء عليها

اسم المؤلف : محمد عبدالحليم

المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٦/٥٦٢٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 376 - 170 - 3

الطبعة الأولى

٢٠٠٧



E-mail:darkitab2003@yahoo.com

سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧

مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت ـ شقة ١١ تلفاكس : ٣٩١٦١٢٢

لبنان ـ تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ ـ تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ ـ ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

شبهات وافتراءات حول الرسول ﷺ

وردود كبار العلماء عليها

◆



◆

الناشر



دمشق - القاهرة

مقدمة

نحمد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً. أحد.

ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، القائل فى قرآنه العظيم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)

وهو القائل جل جلاله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء: ١١١).

وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٥، ١٣٦).

والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله وعلى السابقين الأكرمين من الأنبياء والمرسلين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فإن بعض المسلمين يحرص على تجنب الكتابة فى موضوع المسيحية ومناقشة أهلها والرد على شبهاتهم لأسباب مختلفة. منها الرضوخ لضغط الأقليات الدينية أو الأكثرية الدينية. ومنها الرغبة فى المجاملة. ومنها عدم

توفر المعلومات لدى الكاتب. ومنها عدم الاهتمام بالموضوع كله.

ولكننا نرى الأمر من زاوية أخرى. فالأمر فى غاية الأهمية من وجهة نظرنا. فمن كان يعتقد أنه يعرف الحقيقة فعليه ألا يبخل على الناس بها، وإلا كان مثل شخص يرى جماعة تكاد تقع فى حفرة مهلكة فلا ينبههم إلى خطورة ذلك رغم علمه بها. وعندما يتحرك الضمير اليقظ للمرشد العارف فيرشد إلى الطريق الصحيح يكون قد قام بواجبه نحو نفسه ونحو الآخرين. والاستجابة لإرشاده ليست إلزامية؛ بل اختيارية.

وهكذا شأن هذا الكتاب؛ ألفناه بدافع حب الخير لجميع عباد الله؛ وبدافع الرغبة فى أن تُعلم هداية الله سبحانه وتسود، وبدافع تبيان الحقائق لمن تهمه الحقائق. ولنرد فيه على جميع مزاعم وافتراءات وشبهات أعداء الإسلام، ونقارن فيه بين عقائدهم وعقائد المسلمين الصحيحة بعبارات سهلة وميسرة. ولا شك بأن من يغمض عينيه عن الحق ويصم أذنيه دون صوت الحق فإنه لن يضر الحق وإنما سيضر نفسه.. وستبقى الشمس ساطعة مضيئة لكل ذى عينين..

فإلى كل مسيحى ومستشرق غربى وعجمى يبحث عن الحق نهدى هذا الكتاب.

أيضاً إلى كل المسلمين فى كل مكان ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (المدثر: ٣١).

وإذا كان بعض المسيحيين يجد صعوبة فى التخلى عن بعض المعتقدات والعادات الخاطئة. وقد يحاول الأقرباء والأصدقاء إقناعهم بعدم تغيير معتقداتهم. فليتذكر هؤلاء المسيحيون بأن إرضاء الله سبحانه أهم بكثير من إرضاء الناس كما فى سفر الأمثال ٢٩ : ٢٥، متى ١٠ : ٣٦، ٣٧. وأننا سنقف أمام خالقنا يوماً للمحاسبة دون أن ينفعنا مال أو أهل أو ولد.

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً له... إنه الموفق لكل خير والمعين عليه،،

محمد عبد الحليم عبد الفتاح

الجيزة فى ٢٠٠٦/١/١

شبهــة
الشيطان يوحى إلى محمد ﷺ

الرد على الشبهة

الظالمون لمحمد - ﷺ - يستندون فى هذه المقالة إلى أكذوبة كانت قد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه - ﷺ - كان يقرأ فى الصلاة بالناس سورة «النجم»: فلما وصل - ﷺ - إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾[(١)]؛ تقول الأكذوبة:

إنه - ﷺ قال - حسب زعمهم - تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لتُرْتَجَى.

ثم استمر - ﷺ - فى القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين وأضافت الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين!!

وذاعت الأكذوبة التى عرفت بقصة «الغرانيق»[(٢)] وقال - من تكون إذاعتها فى صالحهم -: إن محمداً أثنى على آلهتنا وتراجع عما كان يوجهه إليها من السباب. وإن مشركى مكة سيصالحونه وسيدفعون عن المؤمنين به ما كانوا يوقعونه بهم من العذاب.

وانتشرت هذه المقولة حتى ذكرها عدد من المفسرين حيث ذكروا أن المشركين سجدوا كما سجد محمد - ﷺ - وقالوا له: ما ذكرت آلهتنا بخير قبل

(١) النجم: ١٩ - ٢٠.

(٢) المراد بالغرانيق: الأصنام؛ وكان المشركون يسمونها بذلك تشبيهاً لها بالطيور البيض التى ترتفع فى السماء.

اليوم ولكن هذا الكلام باطل لا أصل له.

وننقل هنا عن الإمام ابن كثير فى تفسيره الآيات التى اعتبروها المرتكز الذى استند إليه الظالمون للإسلام ورسوله وهى فى سورة الحج حيث تقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول وَلا نَبيّ إلاَّ إذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِه فَينسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

وبعد ذكره للآيتين السابقتين يقول: «ذكر كثير من المفسرين هنا قصة «الغرانيق وما كان من رجوع كثير ممن هاجروا إلى الحبشة» ظنا منهم أن مشركى مكة قد أسلموا.

ثم أضاف ابن كثير يقول: ولكنها ـ أى قصة «الغرانيق» ـ من طرق كثيرة مرسلة[٢] ولم أرها مسندة من وجه صحيح، ثم قال ابن كثير[٣]: عن ابن أبى حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير قال: «قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة «سورة النجم» فلما بلغ هذا الموضع: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٩، ٢٠). قال ابن جبير: فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى.

فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم... فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول وَلا نَبيّ إلاَّ إذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِه فَينسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤]، ليقرر العصمة والصون لكلامه سبحانه من وسوسة الشيطان.

وربما قيل هنا: إذا كان الله تعالى ينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم آياته

---

(١) الحج الآية: ٥٢.

(٢) الحديث المرسل ما سقط من سنده الصحابى كأن يقول التابعى: قال رسول الله ﷺ كذا ولا يذكر الصحابى الذى رواه عنه وليس كل المراسيل يؤخذ منه وراجع حكمها فى كتب مصطلح الحديث.

(٣) عن: التفسير الوسيط للقرآن لشيخ الأزهر د. طنطاوى ج٩ ص٣٢٥ وما بعدها.

(٤) الحج الآية: ٥٣.

فلماذا لم يمنع الشيطان أصلاً من إلقاء ما يلقيه من الوساوس فى أمنيات الأنبياء.

والجواب عنه قد جاء فى الآيتين اللتين بعد هذه الآية مباشرة: **أولاً:** ليجعل ما يلقيه الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض من المنافقين والقاسية قلوبهم من الكفار وهو ما جاء فى الآية الأولى منهما: ﴿ **لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾(١).

ثانياً: ليميز المؤمنين من الكفار والمنافقين فيزداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم؛ وهو ما جاء فى الآية الثانية: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(١)

هذا: وقد أبطل العلماء قديماً وحديثاً قصة الغرانيق. ومن القدماء الإمام الفخر الرازى الذى قال ما نصه(٢):

«قصة الغرانيق باطلة عند أهل التحقيق وقد استدلوا على بطلانها بالقرآن والسنة والمعقول؛ أما القرآن فمن وجوه: منها قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾(٣).

وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾(٤)، وقوله سبحانه حكاية عن رسوله ﷺ: ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾(٥).

وأما بطلانها بالسنة فيقول الإمام البيهقى:

روى الإمام البخارى فى صحيحه أن النبى - ﷺ - قرأ سورة «النجم»

---

(١) الحج الآية: ٥٤.

(٢) التفسير السابق: ص٣٢١.

(٣) الحاقة الآيتان: ٤٤ - ٤٧.

(٤) النجم الآية: ٣ - ٤.

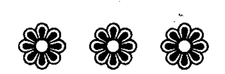
(٥) يونس الآية : ١٥.

فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث «الغرانيق» وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها البتة حديث الغرانيق.

فأما بطلان قصة «الغرانيق» بالمعقول فمن وجوه منها:

أ - أن من جوّز تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه - ﷺ - كان لنفى الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثنى عليها؟

ب - ومنها: أننا لو جوَّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه - ﷺ - فإنه لا فرق - فى منطق العقل - بين النقصان فى نقل وحى الله وبين الزيادة فيه.



شبهــة

محمد ـ ﷺ ـ مذنب

الرد على الشبهة

أ. د/ عبد الصبور مرزوق عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

أخذوها من فهمهم الخاطئ فى مفتتح سورة «الفتح»: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(١).

فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب!!

وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ كتاب كبير مفتوح استوفى فيه كُتَّاب سيرته كل شىء فى حياته. فى صحوه ونومه وفى حربه وسلمه، وفى عبادته وصلواته، فى حياته مع الناس بل وفى حياته بين أهله فى بيته.

ليس هذا فحسب، بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثاً أو يذكرون له عملاً يصفونه ـ ﷺ ـ وصفاً بالغ الدقة وبالغ التحديد لكافة التفاصيل حتى ليقول أحدهم: قال ﷺ كذا وكان متكئاً فجلس، أو قال كذا وقد امتلأ وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته ـ ﷺ ـ بالصوت والصورة.

ثم جاء القرآن الكريم فسجل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة

(١) الفتح: ٢.

المهداة إلى عباد الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١). ووصفه بأنه الرؤوف الرحيم بمن أُرسل إليهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢). ثم لخص القرآن مجمل شمائله ﷺ فى قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

أكثر من هذا تكفل القرآن بإذاعة حتى ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذى بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه على نحو ما جاء فى سورة الأحزاب فى أمر الزواج بزينب بنت جحش(٤) والذى كان القصد التشريعى فيه إبطال عادة التبنى من قوله تعالى: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(٥).

أقول: مع أن سيرة محمد - ﷺ - هى كتاب مفتوح لم يخف التاريخ منه شيئاً بل وتدخل القرآن ليكشف حتى ما يحدث به نفسه - ﷺ - مما لا يطلع عليه الناس، ولم يذكر له - ﷺ - ذلةً ولا ذنباً فى قول أو عمل.

أفبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا إنه «مذنب»؟!!!

ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد - ﷺ - على شىء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلى بقية سورة الفتح، والتى كانت كلها تثبيتاً للمؤمنين وللرسول وتبشيراً لهم بالتأييد والنصر... لو كان محمد ﷺ - كما ادعيتم - من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالى ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطاً مستقيماً؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين.

ونقف أمام الذنب فى منطوق الآية: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فالذنب هذا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام؛ لأن سنة

(١) الأنبياء: ١٠٧. (٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) القلم: ٤. (٤) ابنة عمته - ﷺ - رضى الله عنها.

(٥) الأحزاب: ٣٧.

الله تبارك وتعالى هى عصمة جميع أنبيائه وفى قمتهم خاتمهم ﷺ. وهذا مما يعرفه ويقره ويقرره أتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحرّفى الكلام عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا فى رسل الله(١) وأنبيائه بما هو معروف.

فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنباً على مستوى مقام نبوته - ﷺ - ذنباً مما تقدره الحكمة الإلهية - لا ما تحده أعراف الناس.

ومع هذا كله فإن سيرة محمد - ﷺ - قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به - ﷺ - من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب حتى كان معروفاً بينهم بالصادق الأمين.

أفبعد هذا لا يستحى الظالمون لمحمد - ﷺ - والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا: إنه مذنب؟!!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾(٢).



---

(١) ومن ضمنهم رسلهم أيضاً.

(٢) الكهف: ٥.

شبهــة
محمد - ﷺ - يعظم الحجر الأسود

الرد على الشبهة

د/ عبد العظيم المطعنى عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

إنهم فى هذه المقولة يريدون أن يتهموه بأنه كان يعظم الحجر الأسود بل ويعظم الكعبة كلها بالطواف حولها وهى حجر لا يختلف فى زعمهم عن الأحجار التى كانت تُصنع منها الأوثان فى الجاهلية وكأن الأمر سواء!!

وحقيقة الأمر أن من بعض ما استبقاه الإسلام من أحوال السابقين ما كان فيه من تعاون على خير أو أمر بمعروف ونهى عن منكر، من ذلك ثناء الرسول ﷺ على حلف كان فى الجاهلية يسمى «حلف الفضول» وهو عمل إنسانى كريم كان يتم من خلاله التعاون على نصرة المظلوم، وفداء الأسير، وإعانة الغارمين، وحماية الغريب من ظلم أهل مكة وهكذا..

وقد أثنى الرسول - ﷺ - على هذا الحلف وقال: **«لو دُعيت إلى مثله لأجبت»**.

وأيضاً كان مما استبقاه الإسلام من فضائل السابقين مما ورثوه عن إبراهيم - عليه السلام - تعظيمهم البيت الحرام وطوافهم به؛ بل وتقبيلهم الحجر الأسود.

وهناك بعض مرويات تقول إن هذا الحجر من أحجار الجنة.

وهنا فقط لا يكون أمامنا إلا ما ثبت من أن الرسول - ﷺ - كان يقبل

الحجر الأسود عند طوافه بالبيت؛ وهو ما تنطق به الرواية عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال عن تقبيله لهذا الحجر: **«والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»**[1].

وهنا نقول:

من المستحيل أن يكون تقبيل الرسول - ﷺ - الحجر الأسود من باب المجاراة أو المشاكلة لعبدة الأصنام فيما كانوا يفعلون.

ومستحيل أيضا أن يكون ﷺ قد فعل ذلك - أى تقبيل الحجر الأسود - دون وحى أو إلهام وجهه - ﷺ - إلى تقبيل الحجر بعيداً عن أى شبهة وثنية أو مجاراة لعبادة الأصنام.

ولأنه - ﷺ - قال: «**خذوا عنى مناسككم**[2]» فقد أصبح تقبيل الحجر الأسود من بعض مناسك الحجاج والعمار للبيت الحرام.

كما أن تعظيم الحجر الأسود هو امتثال لأوامر الله الذى أمر بتعظيم هذا الحجر بالذات، وهو سبحانه الذى أمر برجم حجر آخر كمنسك من مناسك الحج فالأمر بالنسبة للتعظيم أو الرجم لا يعدو كونه إقراراً بالعبودية لله تعالى وامتثالاً لأوامره عز وجل واستسلاماً لأحكامه.



(١) رواه البخارى - كتاب الحج - باب رقم ٥٧.

(٢) رواه أحمد - الجزء الثالث - ص٣١٨، ٣٦٦.

شبهــة

محمد - ﷺ - يحرّم ما أحل الله

الرد على الشبهة

استند الظالمون لمحمد - ﷺ - فى توجيه هذا الاتهام إلى ما جاء فى مفتتح سورة التحريم من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلى أمر حدث فى بيت النبى - ﷺ - عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة إذ كان ﷺ قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعاماً لا يوجد فى بيوتهن[2]، فأسر إلى إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فحرّم - ﷺ - تناول هذا الطعام على نفسه ابتغاء مرضاتهن.

والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرم ما أحل الله هو تصيّد للعبارة وحمل لها على ما لم ترد له..

فمطلع الآية ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ هو فقط من باب «المشاكلة» وهو ما قاله النبى لنسائه ترضية لهن. والنداء القرآنى ليس اتهاماً له - ﷺ - بتحريم ما أحل الله؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذى يعلم تبارك وتعالى

(١) التحريم: ١.

(٢) يقال إنه عسل.

أنه - ﷺ - يستحيل عليه أن يحرّم شيئاً أو أمراً أو عملاً أحلّه الله؛ ولكنه يشدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالى الكريم.

ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

وعليه فالقول بأن محمداً - ﷺ - يحرِّم ما أحل الله من المستحيلات على مقام نبوته التى زكاها الله تبارك وتعالى وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

فمقولة بعضهم أنه يحرِّم هو تحميل اللفظ على غير ما جاء فيه، وما هو إلا وعد أو عهد منه - ﷺ - لبعض نسائه فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله.



(١) الحاقة ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) النجم: ٣ ـ ٤.

شبهة
مباشرة رسول الله زوجته وهى حائض

الرد على الشبهة

ورد فى الصحيحين من حديث ميمونة بنت الحارث الهلالية - رضي الله عنها - قالت: كان النبى إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهى حائض. ولهما عن عائشة نحوه. وظنوا بجهلهم أن ذلك يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وسبب ذلك أنهم أناس لا يفقهون فالمباشرة المنهى عنها فى الآية الكريمة هى المباشرة فى الفرج أما ما دون ذلك فهو حلال بالإجماع وقد روى الإمام أحمد وأبو داوود والترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن سعد الأنصارى أنه سأل رسول الله - ﷺ - : ما يحل لى من امرأتى وهى حائض؟ فقال ﷺ: **«ما فوق الإزار»**، وروى ابن جرير أن مسروقاً ذهب إلى عائشة - رضي الله عنها - فقال: السلام على النبى وعلى أهله، فقالت عائشة: مرحباً فأذنوا له فدخل فقال: إنى أريد أن أسألك عن شىء وأنا أستحى فقالت: إنما أنا أمك وأنت ابنى فقال: ما للرجل من امرأته وهى حائض؟ فقالت له: «كل شىء إلا الجماع» وفى رواية ما «فوق الإزار».

وقد رأينا فى حديث ميمونة أن نبى الله ﷺ كان إذا ما أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها «فاتزرت» فأين التعارض المزعوم إذاً يا ملبسى الحق بالباطل.

ولعل ما دفعهم إلى الاعتراض هو وضع المرأة الحائض فى كتبهم المقدسة: **«وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من يلمسها يكون نجساً إلى المساء. كل ما تنام عليه فى أثناء حيضها أو تجلس عليه يكون نجساً، وكل من يلمس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجساً إلى المساء. وكل من يلمس شيئاً كان موجوداً على الفراش أو على المتاع الذى تجلس عليه يكون نجساً إلى المساء. وإن عاشرها رجل وأصابه شىء من طمثها، يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش ينام عليه يصبح نجساً»** (لاوين: ١٥ ـ ١٩).

فهذا هو كتابهم الذى يجعلها فى حيضها كالكلب المهمل الذى لا يقترب منه أحد وكأنها جَرَبةٌ وقد ورد عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت المرأة منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها فى البيوت فسأل الصحابة رسول الله ﷺ فى ذلك فأنزل الله تعالى آية البقرة: ٢٢ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«اصنعوا كل شىء إلا النكاح»**(١) فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

ومن المعروف فى قواعد علم مقارنة الأديان عدم مؤاخذة دين وفقاً لشريعة دين آخر فما بالك والإسلام أعدل وأسمى وقد أنصفت شريعته المرأة فى هذا المقام وغيره!!.



(١) رواه «أبى داود ـ الطهارة ـ ٢-١ ـ نكاح ـ ٤٦.

شبهة
قراءة النبى - ﷺ - القرآن فى حجر عائشة وهى حائض

الرد على الشبهة

روى البخارى عن عائشة قالت: كان رسول الله - ﷺ - يأمرنى فأغسل رأسه وأنا حائض وكان يتكئ فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن.

وهذا أيضاً لا شبهة فيه وما دفعهم إلى الاعتراض على ذلك الحديث إلا نفس السبب الذى دفعهم للاعتراض على الحديث السابق وهو تصورهم المتطرف لوضع المرأة الحائض وجعلها كالقاذورات التى تنجس كل ما تمسه وهذا ليس من شريعة الإسلام الوسطية العادلة فالمرأة إن كانت لا يمكنها الصلاة أو الصيام وهى حائض إلا أنها لا تنجس زوجها إذا ما مسته ولا ينظر إليها فى حيضها بهذا الازدراء حتى إن المرأة الحائض فى كتابهم المقدس مذنبة!!

جاء فى سفر اللاويين (١٥ : ٢٨) ما نصه: «وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر. «٢٩» وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخى حمام وتأتى بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع. «٣٠» فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها».

فأين ذلك من شريعة الإسلام الطاهرة التى تحترم المرأة؟ لذا يستدل

العلماء من حديث أم المؤمنين عائشة بجواز ملامسة الحائض وأن ذاتها وثيابها على الطهارة ما لم يلحق شيئاً منها نجاسة وفيه جواز القراءة بقرب محل النجاسة، قاله النووى: وفيه جواز استناد المريض فى صلاته إلى الحائض إذا كانت أثوابها طاهرة، قاله القرطبى بل ويمكن للمرأة نفسها أن تتعبد بقراءة القرآن دون النطق به ويمكنها تقليب صفحاته باستعمال سواك أو بارتداء قفاز أو ما شابه ذلك بل وعند ابن حزم يمكنها الجهر بقراءة القرآن وهى حائض دون مس المصحف الشريف[١].



(١) أما غالب الفقهاء فلم يسمحوا بذلك إلا لمن به حدث أصغر وهو الذى يرفعه بالوضوء.

شبهـة
الرسول كان يقبل نساءه وهو صائم
ويمص لسان زوجته عائشة

الرد على الشبهة

الحديث أخرجه أبو داود، وقال ابن الأعرابى: بلغنى عن ابن داود أنه قال: إسناده ليس بصحيح وأخرجه أحمد فى المسند والتقى فى أسانيده مع أبى داود فى محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن عائشة.

وتقبيله - ﷺ - لنسائه - وهو صائم - صحيح. أما قوله: **«ويمص لسانها»** فيقول ابن القيم رحمه الله: وقال عبد الحق: لا تصح هذه الزيادة فى مص اللسان لأنها من حديث محمد بن دينار عن سعد بن أوس ولا يحتج بهما. وبنحوه هذا قال الخطابى **«الانتصارات الإسلامية فى كشف شبه النصرانية - دراسة وتحقيق د : سالم القرنى - مكتبة العبيكان».**

وقد أورد العلامة الألبانى الحديث فى سلسلة الأحاديث الضعيفة. ولو سلمنا جدلاً بصحة الحديث ففيه دليل على حسن معاملة الزوجة وملاطفتها ومداعبتها الذى له دور وتأثير فى النفس البشرية بطبيعتها وهذا من الفطرة ولو عرضت هذا الكلام على عالم فى الحياة الجنسية لأيده ونصره.



شبهـــة
قول عائشة للرسول: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك عندما رأت خَوْلة بنت حكيم من اللائى وهبن أنفسهن له ﷺ؟

الرد على الشبهة

هذا حديث عائشة الوارد فى صحيح البخارى وقد قال النووى فى معنى يسارع فى هواك: أى يخفف عنك ويوسع عليك فى الأمور ولهذا خيرك، وقال القرطبى: هذا قول أبرزه الدلال والغيرة، وهو من نوع قولها ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله[1]، وإلا فإضافة الهوى إلى النبى - ﷺ - لا تحمل على ظاهرها، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى، ولو قالت إلى مرضاتك لكان أليق، ولكن الغيرة يغتفر لأجلها إطلاق مثل ذلك.

قلت: ومما يوضح لنا أن قول عائشة كان من باب الدلال والغيرة ليس إلا، هو ما جاء عنها فى صحيح مسلم: عن عائشة: كنت أُغار على اللاتى وهبن أنفسهن[2] لرسول الله ﷺ. صحيح مسلم ١٠ : ٤٩ .



(١) فى قصة الإفك.

(٢) أى أغار منهن.

شبهـــة

اكشفى عن فخذيك

الرد على الشبهة

عن عمارة بن غراب قال: إن عمة له حدثته أنها سألت عائشة قالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد.

قالت أخبرك بما صنع الرسول ﷺ دخل فمضى إلى مسجده فلم ينصرف حتى غلبتنى عينى وأوجعه البرد فقال أدنى منى فقلت إنى حائض فقال: وإن. اكشفى عن فخذيك فكشفت فخذى فوضع خده وصدره على فخذى وحنيت عليه حتى دفىء ونام. (سنن أبى داود ج٢ ص٢٧).

جواب: هذا حديث ضعيف، قال عنه المنذرى: عمارة بن غراب والراوى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى والراوى عن الأفريقى عبد الله عبد الله بن عمر بن غانم وكلهم لا يحتج بحديثهم. انتهى (عون المعبود شرح سنن أبى داود).

وقد أورده العلامة الألبانى ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة (ضعيف أبى داود).



شبهــة
جنة المسلمين خمر وزنا وفى محضر الله القدوس

الرد على الشبهة

إن ما يردده أعداء الإسلام عن العقيدة الإسلامية حيال موضوع الجنة وأنه نعيم بالخمر والنساء والغناء فيه قصور كبير عن الاعتقاد الصحيح حيال ذلك، فإن نعيم الجنة ليس نعيماً حسياً جسدياً فقط بل هو كذلك نعيم قلبى بالطمأنينة والرضا به سبحانه وتعالى وبجواره، بل إن أعظم نعيم فى الجنة على الإطلاق هو رؤية الربّ سبحانه وتعالى، فإن أهل الجنة إذا رأوا وجهه الكريم نسوا كل ما كانوا فيه من ألوان النعيم، يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة يونس: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، ويقول الله وتعالى سبحانه وتعالى فى سورة القيامة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣)، وفى الحديث الصحيح: **«فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»** مسلم برقم: ١٨١.

وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ولا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ (الواقعة: ٢٥، ٢٦).

وما ذكروه من أن دخول الجنة يتحقق بترك محرمات معينة ليفوز الإنسان بها فى الآخرة هو أيضاً خطأ كبير بهذا الإطلاق إذ أن الإسلام دين يأمر بالعمل لا بالترك فقط فلا تتحقق النجاة إلا بفعل المأمورات وليس بترك المنهيات فقط فهو قيام بالواجبات وانتهاء عن المحرمات، وكذلك فإنه ليس كل نعيم الجنة مما كان محرماً فى الدنيا على سبيل المكافأة بل كم فى الجنة من النعيم الذى كان مباحاً فى الدنيا فالزواج مباح هنا وهو نعيم هناك والفواكه الطيبة من الرمان والتين وغيرها مباح هنا وهو من النعيم هناك والأشربة من اللبن والعسل مباح هنا وهو نعيم هناك وهكذا، بل إن المفسدة التى تشتمل عليها المحرمات فى الدنيا تنتزع منها فى الآخرة إذا كانت من نعيم الجنة كالخمر مثلاً قال الله سبحانه وتعالى عن خمر الجنة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ **(الصافات: ٤٧)**، فلا تذهب العقل ولا تسبّب صداعاً ولا مغصاً، فطبيعتها مختلفة عما هى عليه فى الدنيا، (انظر تفسير الآية) والمقصود أن نعيم الجنة ليس مقصوراً على إباحة المحرمات الدنيوية. وكذلك مما يجدر التنبيه عليه أن هناك من المحرمات التى لا يجازى على تركها فى الدنيا بإعطاء نظيرها فى الآخرة سواء من ذلك المطعومات أو المشروبات أو الأفعال والأقوال فالسم مثلاً لا يكون نعيماً فى الآخرة مع حرمته فى الدنيا وكذا اللواط ونكاح المحارم وغير ذلك لا تباح فى الآخرة مع حظرها فى الدنيا، وهذا واضح بحمد الله.

واعلم أن كل ما فى الجنة من سررها وفرشها وأكوابها ـ مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد، وإنما دلنا الله بما أراناه من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب ولذلك ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء.

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمة الله عليه: واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسفة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون فى الجنة أكل وشرب ولباس وزواج ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن.

والرد عليهم هو أن ما ورد فى القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة أن حقيقتها ليست مماثلة لما فى الدنيا، بل بينهما تباين عظيم من التشابه فى الأسماء، فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لا ندركها فى الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجه، وتلك الحقائق على ما هى عليه (رسالة الإكليل من مجموعة الرسائل الكبرى ـ لابن تيمية ٢: ١١).

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يُلْهَمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النَّفَس»**

(مسلم برقم ٢٨٣٥).

أن طعام وشراب أهل الجنة ليس لحاجة البقاء وإنما كنوع من المتعة واللذة، مكافأة لمن دخلها من الصالحين. والحقيقة إن إنسان الجنة كامل الخلق والتكوين، ولكن تركيبته الكيميائية والفيزيائية مختلفة فليس له حاجة بتاتاً للجهاز الهضمى بما فيه من أجهزة لمعالجة الطعام والشراب ثم التخلص من الفضلات..

وفى معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ **(البقرة: ٢٥)**.

أى لا يبلن ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحضن ولا يمنين ولا يبصقن. تفسير القرطبى.

وقال ابن كثير رحمه الله فى تفسير آية:

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ **(البقرة: ٢٥)**، قال ابن طلحة عن ابن عباس مطهرة من القذر والأذى. وقال مجاهد من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنى والولد وقال قتادة مطهرة من الأذى والمأثم. وفى رواية عنه لا حيض ولا كلف.

ولقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال: يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم:** ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧)» (البخارى برقم ٣٢٤٤) (مسلم برقم ٢٨٢٤).

وإليكم الآن هذه النصوص القاطعة من كتاب النصارى التى تدل على حسية الجنة لديهم:

أولاً: ما ورد على لسان المسيح - عليه السلام - بشرب الخمر فى ملكوت الله أى الجنة:

مرقس (١٤: ٢٥): (الحق أقول لكم إنى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت الله).

فالمسيح وعد تلاميذه بأنه سيشرب الخمر معهم فى ملكوت الله الجديد وهذا الملكوت الجديد حسب ما يعتقده المسيحيون سيتحقق بعد أن يدين الله العالم ويحاسبهم فى يوم القيامة وهذا النص كافٍ لبيان حسية الجنة وإقامة الحجة على النصارى...

ثانياً: ما ورد فى الإنجيل على اشتمال الجنة على الأكل:

جاء فى إنجيل لوقا (٢٢: ٣٠) قول المسيح لتلاميذه: (وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى، وتجلسوا على كراسيَّ تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر).

قال المسيح فى إنجيل لوقا (١٤: ١٢): (عندما تقيم غداء أو عشاء، فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا جيرانك الأغنياء، لئلا يدعوهم هم أيضاً بالمقابل، فتكون قد كوفئت. ١٣ ولكنْ، عندما تقيم وليمة ادع الفقراء والمعاقين والعرج والعمى؛ ١٤ فتكون مباركاً لأن هؤلاء لا يملكون ما يكافئونك به، فإنك تكافَأ فى قيامة الأبرار. ١٥ فلما سمع هذا أحد المتكئين، قال له: طوبى لمن سيتناول الطعام فى ملكوت الله!).

وهذه النصوص كلها على خلاف معتقد النصارى...

ثالثاً: ما جاء على لسان المسيح من وجود النعيم الحسى فى الجنة عن طريق ضربه لمثل الإنسان الفقير:

قال المسيح عليه السلام: «كان هنالك إنسان غنى، يلبس الأرجوان وناعم الثياب، ويقيم الولائم المترفة، متنعماً كل يوم. وكان إنسان مسكين اسمه لعازر، مطروحاً عند بابه وهو مصاب بالقروح، يشتهى أن يشبع من الفتات المتساقط من مائدة الغنى. حتى الكلاب كانت تأتى وتلحس قروحه. ومات المسكين، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ثم مات الغنى أيضاً ودفن. وإذ رفع عينيه وهو فى الهاوية يتعذب، رأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه. فنادى قائلاً: يا أباى إبراهيم! ارحمنى، وأرسل لعازر ليغمس طرف إصبعيه فى الماء ويبرد لسانى: فإنى معذب فى هذا اللهيب. ولكنَّ إبراهيم قال: يا بنى، تذكر أنك نلت خيراتك كاملة فى أثناء حياتك، ولعازر نال البلايا. ولكنه الآن يتعزَّى هنا، وأنت هناك تتعذب. وفضلاً عن هذا كله، فإن بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى إن الذين يريدون العبور من هنا لا يقدرون، ولا الذين من هناك يستطيعون العبور إلينا) **(إنجيل لوقا ١٦: ١٩)** ترجمة كتاب الحياة.

إن هذا الكلام من المسيح حجة على النصارى، فقد قال المسيح: إن إليعازر هذا فى كفالة إبراهيم يتنعم ويتلذذ فى الآخرة. (كما قال): إن ذلك الغنى كان كل يوم يتنعم ويتلذذ فى دنياه: (والذى يبتدر إلى الأفهام منه التنعم بالطيبات المألوفة المعروفة، وقد جاء ذلك فى الإنجيل كثيراً ولكن النصارى محجوبون بالتقليد عن النظر فى أقوال الأنبياء..

رابعاً: رؤية الله فى الآخرة بالجسد:

جاء فى سفر أيوب: (اعلم أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وسأرى بعيني الله مخلّصى) **(أى ١٩: ٢٥ ـ ٢٧)** وفى ترجمة البروتستانت: «وبدون جسدى».

خامساً: الاتكاء والالتقاء مع الأنبياء:

ورد فى إنجيل متى (٨: ١١) قول المسيح: (وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات).

فهل بعد كل هذا سيستمر النصارى بدعوة أن جنتهم جنة روحية فقط؟



شبهة
كان يأتيه الوحى فى ثوب عائشة

الرد على الشبهة

يظن الصليبيون عندما نسخر من شبهاتهم الضعيفة ولا نهتم بها أننا ليس عندنا حجة للرد. حتى كثر اللغط حول موضوع الوحى فى ثوب عائشة - رضي الله عنها - فقلنا رحمة بعقولهم الضعيفة ومستواهم الثقافى واللغوى المتواضع قررنا أن نرد عليهم لعلهم يعقلون أو يهتدى منهم من يبحث عن الحق، ولكن لو كان الحديث به شىء يهين الرسول ما قاله الرسول أو عقب عليه علماء اللغة وجهابذة العربية.

نص الحديث فى البخارى: حدثنا إسماعيل قال: حدثنى أخى عن سليمان عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - أن نساء رسول الله - ﷺ - كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله - ﷺ - عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله - ﷺ - أخرها حتى إذا كان رسول الله - ﷺ - فى بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله - ﷺ - فى بيت عائشة.

فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمى رسول الله - ﷺ - يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدى إلى رسول الله - ﷺ - هدية فليهدها إليه حيث كان من

بيوت نسائه فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت: ما قال لى شيئاً فقلن لها: فكلميه قالت: فكلمته حين دار إليها أيضاً فلم يقل لها شيئاً فسألنها فقالت: ما قال لى شيئاً.

فقلن لها: كلميه حتى يكلمك.

فدار إليها فكلمته.

فقال لها: لا تؤذينى فى عائشة فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة.

فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله.

ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت أبى بكر فكلمته فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب قالت: بلى فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن: ارجعى إليه فأبت أن ترجع فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت ابن أبى قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهى قاعدة فسبتها حتى إن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تتكلم قال: فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها.

قالت: فنظر النبى ﷺ إلى عائشة وقال إنها بنت أبى بكر.

قال البخارى: الكلام الأخير قصة فاطمة يذكر عن هشام بن عروة عن رجل عن الزهرى عن محمد بن عبد الرحمن.

وقال أبو مروان عن هشام عن عروة كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة.

وعن هشام عن رجل من قريش رجل من الموالى عن الزهرى عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قالت عائشة كنت عند النبى - ﷺ - فاستأذنت فاطمة.

الشرح....

نعلم أولاً أن القرآن يفسر بعضه بعضاً والسنة تفسر بعضها بعضاً والسنة أيضاً تفسر القرآن كما كان يفعل الرسول ﷺ، وحرف (فى) هو الذى يسبب للنصارى سوء فهم بسبب ضعفهم اللغوى. فقد قال فرعون عن السحرة: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١)، وطبيعى أن لا يقول عاقل أن السحرة صلبهم فرعون فى داخل النحل!!!! بل (فى) هنا تعنى على النخل[1].

ثانياً: يقول القرآن على النساء والرجال لفظ لباس ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧). ولا يعنى هذا أن المرأة ـ بنطلون ـ للرجل أو أن الرجل ـ فستان ـ للمرأة. كما يفهم النصارى، بل إن لفظ (لباس) عند المصريين يعنى شيئاً آخر غير باقى الدول العربية، وطبيعى أن المفهوم من الآية كما تستر الملابس الجسد فإن المرأة تستر زوجها من الزنا والمعاصى وكذلك الرجل يستر على زوجته ويعفها...

الأمر الآخر لكى نفهم معنى (فى ثوب عائشة) هو البحث عن القصة بكل ملابساتها وظروفها فى أحاديث أخرى فى النقاش الذى كان بين الرسول ونسائه، وهنا يتضح لنا المقصود والمعنى. وهذا هو عين العقل وضمير الباحث عن الحقيقة مع الدراية باستخدام العرب للألفاظ فى مواقف لتدل عن معنى فى ذهن المحاور.

وإليكم الآن حديث آخر يتجاهله النصارى لأنه يفضح جهلهم:

نص الحديث: حدثنا يحيى بن درست ـ بصرى ـ حدثنا حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت فاجتمع صواحباتى إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فقولى لرسول الله ـ ﷺ ـ يأمر الناس يهدون إليه أينما كان فذكرت ذلك أم سلمة فأعرض

(١) وإنما استعمل الحرف فيه الذى يدل على الظرفيه كما تقول الماء فى الكوب ليدل على شدة الصلب كأن لصوقهم على جذوع النخل كأنهم دخلوا فيه.

عنها ثم عاد إليها فأعادت الكلام فقالت: يا رسول الله إن صواحباتى قد ذكرن أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فا أمر الناس يهدون أينما كنت. فلما كانت الثالثة قالت ذلك قال: **«يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها[1]»**.

وهنا يتضح أن المقصود بالثوب هو اللحاف وهو الغطاء أو السترة لأن كل نساء النبى لهن سترة ولكن لم يأت الوحى إلا فى بيت عائشة وهذا لفضلها ومناقبها - رضي الله عنها -.

والسبب فى ذلك هو:

الأول: فسروا هذا الاستثناء فى حق السيدة عائشة دون زوجات النبى لسببين:

الأول: أنها كانت كثيرة التنظيف والتطهير لثيابها وفرشها.

الثانى: أنها ابنة أبى بكر وفضلها من فضل أبيها.

مفهوم الحديث أن أم المؤمنين السيدة عائشة هى الوحيدة من زوجات النبى التى كان ينزل الوحى عليه وهو نائم بجانبها فى الفراش أو بمعنى آخر فى فراشها دون وضع جماع.

وفى اللغة العربية من الممكن التعبير بالجزء عن الكل[2] إذا اعتبرنا أن الثياب ملازم للمرء وملامس لجسده وكأنها جزء من لابسها. وكذلك الفرش واللحاف لا يستغنى عنه المرء ودائماً ما يتردد عليه المرء للنوم ويكون مهادا ورداء لجسده.

نظن أن الأمر قد وضح الآن لمن يبحث عن الحق. ويبقى لنا سؤال؟

كيف خلع المسيح ثيابه ونشف قدم التلاميذ وبقى عرياناً؟

هل هذا يليق برب خالق وإله معبود؟

وإليكم النص من إنجيل يوحنا ١٣/٥: «ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزراً بها».

(١) رواه البخارى كتاب (فضائل أصحاب النبى) باب ٣٠ والنسائى كتاب النساء (٣) والترمذى كتاب المناقب باب رقم ٦٢.

(٢) ويسميه البلاغيون بالمجاز المرسل والعلاقة هنا الجزئية.

شبهـــة
محمد يتزوج زوجة ابنه

الرد على الشبهة

ما هى حقيقة زواج رسول الله - ﷺ - من زوجة زيد بن حارثة؟

زينب بنت جحش هى إحدى زوجات النبى وقد تزوج بها الرسول فى السنة الخامسة من الهجرة، وهى بنت أمية بنت عبد المطلب عمة النبى وكانت زوجة لزيد بن حارثة قبل أن تصبح زوجة لرسول الله ﷺ.

أما زيد بن حارثة - زوج زينب قبل الرسول - فكان يدعى قبل الإسلام بزيد بن محمد لكنه لم يكن من أولاد الرسول ﷺ، بل كان غلاماً اشترته خديجة بعد زواجها من النبى ثم أهدته إلى النبى فأعتقه الرسول فى سبيل الله، ثم تبنّاه النبى تبنياً اعتبارياً على عادة العرب لرفع مكانته الاجتماعية وهكذا فقد منحه الرسول احتراماً كبيراً وشرفاً عظيماً ورفع من شأنه بين الناس حتى صار يُدعى بين الناس بابن محمد.

وعندما أحس النبى بحاجة زيد إلى الزواج أمره بخطبة بنت عمته زينب بنت جحش، لكن زينب رفضت ذلك تبعاً للتقاليد السائدة فى تلك الأيام ولاستنكاف الحرة من الزواج من العبد المعتَق، خاصة وأن زينب كانت من عائلة ذات حسب وشأن، فنزلت الآية الكريمة التالية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلالاً مُبِيناً﴾ (الأحزاب: ٣٦)، فأخبرت زينب النبى بقبولها بهذا الزواج، وهكذا فقد تم الزواج برضا زينب، نزولاً عند رغبة الرسول وخضوعاً لحكم الله تعالى. قال الحافظ بن كثير: «زوج رسول الله ﷺ زيداً بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، وأمها أميمة بنت عبد المطلب، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً... فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها».. تفسير ابن كثير ٣/٤٩٥.

وهنا نقول لهؤلاء الحاقدين: كيف يطمع الرسول فى زينب وهو الذى اقترح واختار زواجها لزيد أساساً؟

لقد أراد الرسول - ﷺ - كسر العادات والتقاليد الخاطئة والتى كانت تمنع زواج العبيد المعتَقين من بنات العوائل المعروفة، وبالفعل فقد تحقق للنبى العظيم ما أراد وتمكن من تطبيق المساواة بصورة عملية بين أفراد المجتمع الإسلامى.

طلاق زينب

بعد ذلك تأثرت العلاقة الزوجية بين الزوجين - زينب وزيد - وآل أمرهما إلى الطلاق والانفصال رغم المحاولات الحثيثة التى قام بها النبى لمنع وقوع الطلاق، ولم تؤثر نصائح النبى فى زيد ولم يفلح فى تغيير قرار زيد الخاطئ فوقع الطلاق.

زواج النبى - ﷺ - من زينب

وبعد أن مضى على طلاق زينب فترة قرر النبى - ﷺ - أن يتزوج ابنة عمته زينب تعويضاً لما حصل لها، غير أن النبى كان يخشى العادات والتقاليد التى تحرم زواج الرجل من زوجة ابنه من التبنى لاعتباره ابناً حقيقيا، وإلى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

قال القاضى عياض: «وأصح ما فى هذا ما حكاه أهل التفسير عن على

بن حسين ـ أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله. وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها.

وروى نحوه عمرو بن فائد، عن الزهرى، قال: نزل جبريل على النبى يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذى أخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾، أى لابد أن تتزوجها.

قال الحافظ بن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ **(الأحزاب: ٣٧)**، ذكر ابن أبى حاتم والطبرى ها هنا آثاراً عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. يريد بذلك أمثال: (فوقعت فى قلبه) و(سبحان مقلب القلوب). فهذه كلها آثار لم تثبت صحتها. وهذا ما ذهب إليه المحققون من المفسرين كالزهرى والقاضى أبو بكر بن العلاء القشيرى والقاضى أبو بكر بن العربى والقاضى عياض فى الشفاء.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن زواج النبى من زينب إنما كان بأمر من الله تعالى، كما تشهد بذلك تتمة الآية السابقة حيث تقول: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ **(الأحزاب: ٣٧، ٣٨)**.

هذا وإن زينب كانت متفهمة لنية الرسول ولما حباها الله من الشرف العظيم إذ جعل لها دوراً فى إزالة عادتين خرافيتين ونالت شرف الزواج من الرسول ـ ﷺ ـ فكانت زينب تفتخر على سائر نساء النبى ـ ﷺ ـ وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجنى الله من السماء.

إذن يمكن تلخيص أهداف زواج الرسول صلى الله عليه وآله من زينب كالتالى:

- تعديل ما حصل لابنة عمته وتضررها بالطلاق وقد رضيت بالزواج من زيد بأمر من الله ورسوله، فأراد الرسول أن يكرمها ويعوضها عما حصل لها.

- كسر العادات والتقاليد الخاطئة التى تمنع الزواج من زوجة الابن من التبنى، رغم كونه ابنا اعتبارياً لا غير. (تشريع فى صورة عملية).

إن الإسلام ـ من خلال القرآن الكريم ـ رفض الاعتراف بالتبنى الذى كان سائداً بين العرب فى الجاهلية، وعلى أساس ذلك كانوا ينسبون زيد بن حارثة إلى رسول الله فيقولون زيد بن محمد، وجاء الرفض القرآنى حاسماً من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤، ٥)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وكان التوجيه القرآنى للرسول بالزواج من مطلقة (زيد بن حارثة) لأجل تأكيد تجاهل المشرع الإسلامى للعرف الجاهلى، لتكون ممارسة الرسول رافعة لكل التباس قد يبقى عالقاً فى الأذهان، علماً أن تزويج الرسول كان بعد تطليقها من جانب زيد بن حارثة فلم تكن هذه المرأة مرتبطة بأكثر من رجل.

ثم إنه لا يخفى أن من مهام الأنبياء هو إزالة العادات الخاطئة والسنن الظالمة وهذا ما فعله النبى صلى الله عليه وآله كما كان يفعل ذلك جميع الأنبياء من قبل فى قضايا مشابهة مع ما فى مكافحة الخرافات من تخوف جدى وإحراج شديد ذلك لأن ذلك يعد محاربة للتقاليد والسنن والاعتقادات الراسخة والمتأصلة فى عقولهم، لكن مهمة الأنبياء لا تقبل التعلل والخوف والمجاملة، فهم يحملون على عواتقهم رسالة سماوية حمّلهم إياها رب العالمين، وإلى هذه الحقيقة تشير الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨).

وأخيراً نقول:

أى ضرورة هذه التى تدعو سيدنا محمداً - ﷺ - أن يدرج هذه الآية فى القرآن فيقرأها الناس كلهم، وهى من أول حرف فيها إلى آخر حرف عتاب للرسول شديد، وكشف عما يخفيه فى نفسه من معرفة أنه سيتزوج زينب بعد تطليق زيد لها، ثم هى بيان لما يخشاه من كلام قومه إذا أقدم فتزوج مطلقة زيد - نقول أى ضرورة تدعو سيدنا محمداً - ﷺ - إلى أن يدرج هذه الآية فى القرآن، ويسجلها على مر الدهر كله، لو لم يكن هذا القرآن كلام خالقه الذى لا يسعه أن يستخفى على حرف واحد منه؟!

فإن قلت: فما معنى إذاً قوله تعالى فى قصة زيد: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ **(الأحزاب: ٣٧).**

فاعلم - أكرمك الله - ولا تسترب فى تنزيه النبى - ﷺ - عن هذا الظاهر وأن يأمر زيداً بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها، كما ذكر عن جماعة من المفسرين.

وأصبح ما فى هذا ما حكاه أهل التفسير عن على بن حسين - أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكاها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله. وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطليق زيد لها.

وروى نحوه عمرو بن فائد، عن الزهرى، قال: نزل جبريل على النبى يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذى أخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾، أى لابد لك أن تتزوجها.

ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها، فدل أنه الذى أخفاه - ﷺ - مما كان أعلمه به تعالى.

وقوله تعالى فى القصة: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ **(الأحزاب: ٣٨)**. فدل أنه لم يكن عليه حرج فى الأمر.

قال الطبرى: ما كان الله ليؤثِّم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل. قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾، أى من النبيين فيما أحل لهم، ولو كان على ما روى فى حديث قتادة من وقوعها من قلب النبى - ﷺ - عندما أعجبته، ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج، وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا، ولكان هذا نفس الحسر المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء، فكيف سيد الأنبياء؟.

قال القشيرى: وهذا إقدام عظيم من قائله، وقلة معرفة بحق النبى - ﷺ - وبفضله.

وكيف يقال: رآها فأعجبته وهى بنت عمته، ولم يزل يراها منذ ولدت، ولا كان النساء يحتجبن منه ﷺ، وهو زوجها لزيد، وإنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويج النبى - ﷺ - إياها، لإزالة حرمة التبنى وإبطال سنته، كما قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ **(الأحزاب: ٤٠)**. وقال: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ **(الأحزاب: ٣٧)**، ونحوه لابن فورك.

وقال أبو الليث السمرقندى: فإن قيل: فما الفائدة فى أمر النبى - ﷺ - لزيد بإمساكها؟ فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته، فنهاه النبى - ﷺ - عن طلاقها، إذ لم تكن بينهما ألفة، وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس: يتزوج امرأة ابنه، فأمره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، كما قال تعالى: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ **(الأحزاب: ٣٧)**.

وقد قيل: كان أمره لزيد بإمساكها قمعاً للشهوة، ورداً للنفس عن هواها. وهذا إذا جوَّزنا عليه أنه رآها واستحسنها. ومثل هذا لا نكرة فيه، لما طبع

عليه ابن آدم من استحسانه للحسن، ونظرة الفجاءة معفو عنها، ثم قمع نفسه عنها، وأمر زيداً بإمساكها، وإنما ننكر تلك الزيادات فى القصة. والأولى ما ذكرناه عن على بن حسين، وحكاه السمرقندى، وهو قول ابن عطاء، وصححه واستحسنه القاضى القشيرى، وعليه عول أبو بكر بن فورك، وقال: إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير، قال: والنبى - ﷺ - منزه عن استعمال النفاق فى ذلك، وإظهار خلاف ما فى نفسه، وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ ومن قال ذلك على النبى ﷺ فقد أخطأ.

قال: وليس معنى الخشية هنا الخوف، وإنما معناه الاستحياء، أى يستحى منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه.

وأن خشيته - ﷺ - من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء، كما كان، فعاتبه الله على هذا، ونزهه عن الالتفاف إليهم فيما أحله له، كما عاتبه على مراعاة رضا أزواجه فى سورة التحريم بقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التحريم: ١)، وكذلك قوله له ها هنا: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

وقد روى عن الحسن وعائشة: لو كتم رسول الله - ﷺ - شيئاً لكتم هذه الآية لما فيها من عُتْبِه وإبداء ما أخفاه.



شبهـــة
تعدد زوجات النبى محمد ﷺ

قالوا إنه ﷺ:

- **تزوج زوجة ابنه بالتبنى (زيد بن حارثة).**
- **أباح لنفسه الزواج من أى امرأة تهبه نفسها (الخلاصة أنه شهوانى).**

الرد على الشبهة: د/ عبد الصبور مرزوق

الثابت المشهور من سيرته - ﷺ - أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر.

والثابت كذلك أن الزواج المبكر كان من أعراف المجتمع الجاهلى رغبة فى الاستكثار من البنين خاصة ليكونوا للقبيلة عزّاً ومنعة بين القبائل.

ومن الثابت كذلك فى سيرته الشخصية أن اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلى بشرائح من الزانيات اللاتى كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها «رايات» ليعرفها طلاب المتع المحرمة.

ومع هذا كله - مع توفر أسباب الانحراف والسقوط فى الفاحشة فى مجتمع مكة - لم يُعرَف عن الرسول محمد - ﷺ - إلا التعفف والطهارة بين جميع أقرانه؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان.

ويُرْوَى فى ذلك أن بعض أقرانه الشباب أخذوه ذات يوم إلى أحد مواقع المعازف واللهو فغشاه الله بالنوم فما أفاق منه إلا حين أيقظه أترابه للعودة إلى دورهم.

هذه واحدة...

أما الثانية: فهى أنه حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب فى الزواج لم يبحث عن «البكر» التى تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالى خمسة عشر عاماً، ثم إنها ليست بكراً بل هى ثيب، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين؛ وهى السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هى التى اختارته بعد ما لمست بنفسها ـ من خلال مباشرته لتجارتها ـ من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ(١).

والثالثة: أنه ـ ﷺ ـ بعد زواجه منها دامت عشرته بها طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها ـ رضي الله عنها ـ زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعاً إلا إبراهيم الذى كانت أمه السيدة «مارية» القبطية.

والرابعة: أنه ـ ﷺ ـ عاش عمره بعد وفاتها ـ رضي الله عنها ـ محبا لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعدد مآثرها وهى مآثر لها خصوص فى حياته وفى نجاح دعوته فيقول فى بعض ما قال عنها: **«صدقتنى إذ كذبنى الناس وأعانتنى بمالها»**. بل كان ـ ﷺ ـ لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

أما تعدد زوجاته ـ ﷺ ـ فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها:

أولاً: كان عُمْرُ محمد ـ ﷺ ـ فى أول زوج له ﷺ بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهى السنّ التى تنطفىء فيها جذوة الشهوة وتهدأ الغرائز الحسية بدنيا، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتى تركتهم خديجة ـ رضي الله عنها ـ.

---

(١) فقد اقترنت رضي الله عنها قبله بزوجين ﷺ.

وفيما يلى بيان هذا الزواج وظروفه:

الزوجة الأولى: سودة بنت زمعة: كان رحيل السيدة خديجة - رضي الله عنها - مثير أحزان كبرى فى بيت النبى - ﷺ - وفى محيط الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقاد من يرعى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه - ﷺ - عمه أبى طالب نصيره وظهيره وسُمِّىَ العام الذى رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عام الحزن.

فى هذا المناخ... مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يرعى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأنى أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة فأجاب ﷺ: «أجل كانت أم العيال وربة البيت»، فقالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك؟

فقال الرسول ﷺ: **«ولكن - من بعد خديجة»؟!** فذكرت له عائشة بنت أبى بكر فقال الرسول: **«لكنها ما تزال صغيرة»** فقالت: تخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج... قال الرسول: **«ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن؟»** فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها - ﷺ - بمكة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفى عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول - ﷺ - وكانت أول امرأة تزوجها - ﷺ - بعد خديجة، وكان ذلك فى رمضان سنة عشر من النبوة.

وعجب المجتمع المكى لهذا الزواج لأن «سودة» هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلفاً لأم المؤمنين خديجة التى كنت عند زواج الرسول - ﷺ - بها جميلة وضيئة وحسيبة تطمح إليها الأنظار.

وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هى الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة، فهى مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرُّوا بدينهم إلى الحبشة

وقد قَبِلَ الرسول زواجها حماية لها وجبراً لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة.

وليس الزواج بها سعار شهوة للرسول ولكنه كان جبراً لخاطر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفى زوجها وتركها امرأة تحتاج هى وبنوها إلى من يرعاهم.

الزوجة الثانية بعد خديجة: عائشة بنت أبى بكر الذى يقول عنه الرسول ﷺ: **«إن من آمَنَّ الناس علىّ فى ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام..»**.

ومعروف من هو أبو بكر الذى قال عنه الرسول - ﷺ - محدثاً عن عطائه للدعوة: **«ما نفعنى مالٌ قط ما نفعنى مال أبى بكر»**، وأم عائشة هى أم رومان بنت عامر الكنانى من الصحابيات الجليلات، ولما توفيت نزل رسول الله ﷺ إلى قبرها واستغفر لها: وقال: **«اللهم لم يخف عليك، ما لقيت أم رومان فيك وفى رسولك ﷺ»**، وقال عنها يوم وفاتها:

«من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»، ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعز صاحبين؛ بل استقبلته كما تستُقبل أمراً متوقعاً؛ ولذا لم يجد أى رجل من المشركين فى هذا الزواج أى مطعن - وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلكوه ولو كان زوراً وافتراء -.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول - ﷺ - بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عاماً ليس بدعاً ولا غريباً لأن هذا الأمر كان مألوفاً فى ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد ﷺ - جعلوا من هذا الزواج اتهاماً للرسول وتشهيراً به بأنه رجل شهوانى غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعاً فى ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما فى هذه النماذج:

- فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول - ﷺ - من هالة بنت عم آمنة التى

تزوجها أصغر أبنائه عبد الله - والد الرسول ﷺ.

- وتزوج عمر بن الخطاب ابنة على بن أبى طالب وهو أكبر سناً من أبيها.

- وعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشابة «حفصة» وبينهما من فارق السن مثل الذى بين المصطفى - ﷺ - وبين «عائشة»[١].

كان هذا واقع المجتمع الذى تزوج فيه الرسول - ﷺ - بعائشة. لكن المستشرقين والممتلئة قلوبهم حقداً من بعض أهل الكتاب لم ترَ أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتى جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريرة العذراء[٢].

الزوجة الثالثة: حفصة بنت عمر الأرملة الشابة:

توفى عنها زوجها خنيس بن حذافة السهمى وهو صحابى جليل من أصحاب الهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته فى غزوة «أحد» حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهى شابة.

وكان ترمُّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذى كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تخبو يوماً بعد يوم...

وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذى لا يتردد فيه الرجل من أن يخطب لابنته من يراه أهلاً لها..

بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق «أبى بكر» يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو بالسلب.

فيتركه عمر ويمضى إلى ذى النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض...

---

(١) تراجم لسيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ: ص٢٥٠ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

فتضيق به الدنيا ويمضى إلى الرسول - ﷺ - يخبره بما حدث فيكون رد الرسول - ﷺ - عليه هو قوله: **«يتزوج حفصة خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان خيراً من حفصة»**[1].

وأدركها عمر - رضي الله عنه - بفطرته إذ معنى قول الرسول - ﷺ - فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول ﷺ.

وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة وارتياح القلب إلى أن الله قد فرّج كرب ابنته.

الزوجة الرابعة: أم سلمة بنت زاد الراكب:

من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله بن عبد الأسد المخزومى أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد ﷺ. جاءت إلى بيت النبى - ﷺ - كزوجة بعد وفاة «أم المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية» بزمن غير قصير.

سليلة بيت كريم، فأبوها أحد أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحد فى سفر إلا كفاه زاده.

وزوجها الذى مات عنها صحابى من بنى مخزوم ابن عمة المصطفى ﷺ وأخوه من الرضاعة ذو الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت هى وزوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معاً وقد حدث لها ولطفلها أحداث أليمة ومثيرة وذكرتها كتب السير[2]. رضى الله عن أم سلمة.. ولا نامت أعين المرجفين.

(١) انظر سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ ص٣٢٤.

(٢) انظر سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ ص٣٢٤.

الزوجة الخامسة: زينب بنت جحش:

لم أر امـرأة قط خـيـراً فـى الدين مـن زينب، وأتقى لله وأصـدق حـديثـاً وأوصل للرحم وأعظم صـدقـة وأشـد تبـذلا لنفسـهـا فـى العـمل الذى تتصـدق وتتقرب به إلى الله عز وجل[١]؟

هكذا تحـدثت أم المؤمنين عـائشـة - رضي الله عنها - عن «ضـرّتهـا» - زينب بنت جحش. أما المبطلون الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا:

أعجب محمد ﷺ - وحاشا له - بزوجة متبناه «زيد بن حارثة» فطلقها منه وتزوجها.

ويرد الدكتور هيكل فى كتابه «حياة محمد»[٢] ﷺ على هذا فيقول: إنها شهوة التبشير المكشوف تارة والتبشير باسم العلم تارة أخرى، والخصومة القديمة للإسلام تأصلت فى النفوس منذ الحروب الصليبية هى التى تملى على هؤلاء جميعاً ما يكتبون.

والحق الذى كنا نود أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله ﷺ.. هو أن زواج محمد - ﷺ - من زوجة ابنه بالتبنى زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة - عادة التبنى - التى هى فى الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها فى واقع الناس والحياة آثار غير حميدة.

ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت فى مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبى الرسالة الخاتمة نفسه - ﷺ - ليتم على يديه وفى بيته الإعلان العلمى عن إبطال هذه العادة.

وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التى جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيراً للتشريع الجديد فى هذه

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل.

(٢) حياة محمد ص٢٩.

المسألة وفى موضوع الزواج بزينب حيث تقول:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(١).

﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾(٢).

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(٣).

مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول - ﷺ - من زينب لم تكن وراءه أبداً شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمراً من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبنى من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة فى المجتمع الجاهلى الذى كانت عادة التبنى أصلاً من أصوله وتقليداً مستقرّاً فيه، فكان السبيل لإبطالها أن يتم التغيير فى بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه - ﷺ -.

وقد فطنت السيدة «زينب بنت جحش» نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهى به ضراتها وتقول لهن: «زوجكن أهاليكن وزوجنى ربى من فوق سبع سموات»(٤).

أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معرباً عن رغبته فى تطليق زينب؛ فلم يكن - كما زعم المرجفون - أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له...

ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التوادّ المرغوب فيه؛ ذلك أن زينب بنت جحش لم تنس أبداً - وهى الحسيبة الشريفة والجميلة أيضاً أنها أصبحت زوجاً لرجل كان رقيقاً عند بعض أهلها وأنه - عند الزواج بها - كان مولى

---

(١) الأحزاب: ٤٠.
(٢) الأحزاب: ٥.
(٣) الأحزاب: ٣٧.
(٤) رواه البخارى (كتاب التوحيد ٦١٠٨).

للرسول - ﷺ -[1] أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة.

فهو - وإن تبناه محمد وبات يسمى زيد بن محمد فى عرف المجتمع المكى كله، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضاً لا يزال - كما كان بالأمس - الأسير الرقيق الذى لا يمثل حُلم من تكون فى مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء.

ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ فى نفسه توهج السعادة هو الآخر، وبات مهيأ النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول - ﷺ - يشكو زينب إليه كما جاء فى البخارى من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول فجعل - ﷺ - يقول له: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**»[2] قال أنس: لو كان النبى كاتماً شيئاً لكتم هذا الحديث.

لكن الرسول - ﷺ - كان يقول له كما حكته الآيات: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها.

وزينب بنت جحش هى بنت عمة الرسول ﷺ - كما سبقت الإشارة - وهو الذى زوجها لمولاه «زيد» ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه؛ وخاصة أنه رأها كثيراً قبل فرض الحجاب، وكان النساء فى المجتمع الجاهلى غير محجبات فما كان يمنعه - إذاً - من أن يتزوجها من البداية؟!؛ ولكنه لم يفعل.

فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعاً: لا لزينب ولا لزيد ولا لمحمد ﷺ، ولكنه أمر قدرى شاءته إرادة الله لإعلان حكم وتشريع جديدين فى قضية إبطال عادة «التبنى» التى كانت سائدة فى المجتمع آنذاك.

يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التى تعلقت بالموضوع فى سورة الأحزاب.

---

(١) المعروف أن لفظ المولى من المشترك اللفظى فالسيد مولى والعبد مولى وقد يفرق بينهما بلفظ مولاهم من أعلى للسيد ومولاهم من أسفل للعبد.

(٢) رواه البخارى (كتاب التوحيد).

أما الجملة التى وردت فى قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾(١). فإن ماأخفاه النبى - ﷺ - هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب - يوماً ما - ستكون زوجاً له؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبنى(٢).

الزوجة السادسة: جويرية بنت الحارث الخزاعية:

الأميرة الحسناء التى لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول - ﷺ - بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بنى المصطلق (التى هى منهم).

كانت ممن وقع فى الأسر بعد هزيمة بنى المصطلق من اليهود فى الغزوة المسماة باسمهم. وكاتبها من وقعت فى أسره على مال فذهبت إلى الرسول ﷺ تطلب منه المساعدة، فقال: لها أَوَ خير من ذلك؟

قالت: وما هو؟ قال: أقضى عنك كتابتك وأتزوجك.

قالت: وقد أفاقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله.

قال: قد فعلت»(٣).

وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول الله ﷺ قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بنى المصطلق وقائدهم فى هذه الغزوة.

معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأنهم أصهار رسول الله ﷺ.

وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول - ﷺ - تجسد فى إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق وهم يقولون: أصهار رسول الله، فلا نبقيهم أسرى.

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) انظر فتح البارى ٨/٣٧١ انظر أيضا سيدات بيت النبوة لبنت الشاطئ ص٣٥٤.

(٣) رواه البخارى: فتح البارى - كتاب النكاح باب: ١٤.

ومع أن زواج الرسول - ﷺ - بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذى جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.

ويقولون: إنه نظر إليها.

وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه - وربما كان نظره إليها ضارعة مذعورة - هو الذى حرك فى نفسه - ﷺ - عاطفة الرحمة التى كان يأمر بما بمن فى مثل حالتها ويقول: «ارحموا عزيز قوم ذل»، فرحمها وخيرها فاختارت ما يحميها من هوان الأسر والمذلة من الناس.

على أن النظر شرعاً مأذون به عند الإقدام على الزواج - كما فى هذه الحالة - وكما أمر به - ﷺ - أحد أصحابه عند رغبته فى الزواج - قائلاً له: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**(١).

وقد توفيت فى دولة بنى أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهى فى السبعين من العمر - رضي الله عنها -.

الزوجة السابعة: صفية بنت حُيَيٍّ - عقيلة بنى النضير:

إحدى السبايا اللاتى وقعن فى الأسر بعد هزيمة يهود بنى النضير أمام المسلمين فى الوقعة المسماة بهذا الاسم، كانت من نصيب النبى - ﷺ - فأعتقها وتزوجها. فماذا فى ذلك؟ ولم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعاً فى ذلك؛ وإنما كان موقفاً جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق.

فلم يكن هذا الموقف إعجاباً بصفية وجمالها؛ ولكنه موقف الإنسانية النبيلة التى يعبر عنها السلوك النبيل بالعفو عند المقدرة والرحمة والرفق بمن أوقعتهن ظروف الهزيمة فى الحرب، فى حالة الاستضعاف والمذلة لا سيما وقد أسلمن وحسن إسلامهن.

(١) رواه البخارى: فتح البارى - كتاب النكاح باب: ٣٦.

فقد فعل ذلك مع «صفية بنت حُيىّ» بنت الحارث عقيلة بنى النضير (اليهود) الذين هزموا أمام المسلمين فى الموقعة المعروفة باسم (غزوة بنى قريظة) بعد انهزام الأحزاب وردّهم مدحورين من وقعة الخندق.

الزوجة الثامنة: أم حبيبة بنت أبى سفيان ـ نجدة نبوية لمسلمة فى محنة:

إنها أم حبيبة «رملة» بنت أبى سفيان كبير مشركى مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه.

كانت زوجاً لعُبَيْد الله بن جحش وخرجا معاً مهاجريْن بإسلامهما فى الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف أن الحبشة فى عهد النجاشى كانت هى المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم؛ فإذا هم يجدون فى ـ ظل النجاشى ـ رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيمانى جعله يرحب باتباع النبى الجديد الذى تم التبشير بمقدمه فى كتبهم على لسان عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ كما تحدث القرآن عن ذلك فى سورة الصف فى قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(١).

لكن أم حبيبة بنت أبى سفيان كانت وحدها التى تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله فى النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت فى محنة مضاعفة: محنتها فى زوجها الذى ارتد وخان.. ومحنتها السابقة مع أبيها الذى فارقته مغاضبة إياه فى مكة منذ دخلت فى دين الله (الإسلام)...

وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التى كانت تنتظرها والتى رزقت بها من بعد وأسمتها

---

(١) الصف: ٦

«حبيبة»... كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحَنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن!!

لكن عين الله ثم عين محمد - ﷺ - سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسرُّ العين ويهون الخطب، وعادت بنت أبى سفيان تحمل كنية جديدة، وبدل أن كانت «أم حبيبة» أصبحت «أم المؤمنين» وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه.

والحق أقول: لقد كان نجاشى الحبشة من خُلَّص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبى سفيان بصفة خاصة. فأنفذ فى أمرها مما بعث به إليه رسول الله - ﷺ - أن يخطبها له.

وكانت خطبة الرسول - ﷺ - لأم حبيبة بنت أبى سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة فى الغربة؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر ﷺ؛ وعوضتها عن غضب الأب «أبى سفيان» برعاية الزوج الحانى الكريم صلوات الله عليه.

كما كانت هذه الخطبة فى مردودها السياسى - لطمة كبيرة لرأس الكفر فى مكة أبى سفيان بن حرب الذى كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو قوله: «إن هذا الفحل لا يجدع أنفه»؛ كناية عن الاعتراف بأن محمداً لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه، لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر.

كان هذا الاعتراف من أبى سفيان بخطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون: تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتح.

فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول - ﷺ - إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) الأحزاب: ٤٠. (٢) الأحزاب: ٥.

(٣) الأحزاب: ٣٧. (٤) رواه البخارى (كتاب التوحيد ٦١٠٨).

وتقدم أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسأله قائلاً: «إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فهلا جعلت له ما يحل عقدته ويسكن حقده وغيظه، فقال صلوات الله وسلامه عليه فى ضمن إعلانه التاريخى الحضارى العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه:

- **«من دخل داره فهو آمن.**
- **ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.**
- **ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن»**(1).

وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس فى دين الله أفواجاً. وفى مناخ النصر العظيم.. كانت هى سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونجاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم.

تلكم هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان التى أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربة ووضعتها فى أعز مكان من بيت النبوة.

الزوجة التاسعة: ميمونة بنت الحارث الهلالية ـ أرملة يسعدها أن يكون لها رجل:

آخر أمهات المؤمنين.. توفى عنها زوجها أبو رُهْم بن عبد العُزَّى العامرى؛ فانتهت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذى زوجها رسول الله ﷺ؛ حيث بنى بها الرسول ـ فى «سَرَف» قرب «التنعيم» على مقربة من مكة.

وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ، وقيل: إنها هى التى وهبت نفسها للنبى والتى نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(2).

كانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته صلواته الله وسلامه عليه.

---

(1) رواه البخارى ـ فتح البارى ـ «كتاب المغازى».

(2) الأحزاب: 50.

شبهـة
محمد يحاول الانتحار

الرد على الشبهة

هذه الرواية ليست صحيحة رغم ورودها فى صحيح البخارى، لأنه أوردها لا على أنها واقعة صحيحة، ولكن أوردها تحت عنوان «البلاغات» يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ، ومعروف أن البلاغات فى مصطلح علماء الحديث: إنما هى مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن.

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى بقوله:

«إن القائل بلغنا كذا هو الزهرى، وعنه حكى البخارى هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله ﷺ، وقال الكرمانى: وهذا هو الظاهر».

وبلاغ الزهرى هذا حكمه الضعف سنداً؛ لأنه سقط من إسناده اثنان على الأقل، وبلاغات الزهرى ليست بشىء كما هو الحال فى مرسلاته؛ فهى شبه الريح - أى لا أساس لها بمنزلة الريح لا تثبت - فقد قال يحيى القطان: (مرسل الزهرى شر من مرسل غيره؛ لأنه حافظ، وكلما يقدر أن يسمى سمى؛ وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه!). انظر «شرح علل الترمذى» لابن رجب ٢٨٤٠١.

فإذا كان هذا حال المرسل؛ فكيف يكون حال البلاغ؟

أما رواية ابن مردويه التى ذكرها الحافظ فى (فتح البارى) (١٢/٣٥٩ -

٣٦٠)، وأنها من طريق محمد بن كثير، عن مَعْمَر بإسقاط قوله: (فيما بلغنا) فتصير الرواية كلها من الحديث الأصلى؛ أقول: هذه الرواية ضعيفة أيضاً لا يحتج بها؛ لأن محمد بن كثير هذا هو المصيصى، وهو كثير الغلط كما فى (التقريب) ٦٢٩١.

وأما رواية ابن عباس - ﷺ - عند الطبرى فى (التاريخ) (٢/٣٠٠ - ٣٠٢)، والتى ذكرها ابن حجر فى (الفتح) (١٢/٣٦١)؛ فإنها واهية جدا بل موضوعة، فالحمل فيها على محمد بن حميد الرازى، وهو متهم بالكذب - بل كذبه صراحة بلديَّه أبو زرعة الرازى[1]، وهو أعرف به من غيره - فلا قيمة لروايته أصلاً. كما أن هذا ليس من المتن. هذه الزيادة ليست مسندة، وإنما علقها البخارى من قول الزهرى، وغالب روايته عن تابعين. ومن المتفق عليه أن مرسل الزهرى ضعيف لأنه يرسل عن متروكين. والبخارى أخرج هذا الحديث فى عدة مواضع بدون هذه الزيادة. فكأنه أشار إلى بطلانها. ثم إنها ليست من الحديث، وإنما معلقة. وليست كل المعلقات صحيحة.

هذا هو الصواب، وحاش أن يقدم رسول الله - وهو إمام المؤمنين - على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه.

وعلى كل فإن محمداً - ﷺ - كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعياً للألوهية.

والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان - ﷺ - يعتنى بها، وقد قال القرآن الكريم فى ذلك: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ **(الإسراء: ٩٣)**.

ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - فى علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادى لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ.

وحين فتر (تأخر) الوحى بعد أن تعلق به الرسول - ﷺ - كان يذهب إلى

(١) كان الاثنان من بلدة الرى وينسب إليها فيقال الرازى على غير القياس.

المكان الذى كان ينزل عليه الوحى فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محبٌّ للمكان الذى جمع بينه وبين حبيبه بشىء من بعض السكن والطمأنينة، فماذا فى ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد - ﷺ - فى كل ما يأتى وما يدع؟

وإذا كان أعداء محمد - ﷺ - يستندون إلى الآية الكريمة: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ **(الكهف: ٦)**.

فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبى عن حزن النبى محمد - ﷺ - بسبب صدود قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم - ﷺ - بدعوة الناس إلى الله، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور.

وهذا خاطر طبيعى للنبى الإنسان البشر الذى يعلن القرآن على لسانه - ﷺ - اعترافه واعتزازه بأنه بشر فى قوله - ردا على ما طلبه منه بعض المشركين: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ فكان أن أمره الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشر لا يملك تنفيذ مطلبهم: ﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ **(الإسراء: ٩٠ - ٩٣)**.

ثالثاً: نذكركم بشاول الملك والذى يؤمن به اليهود أنه نبى والذى يقول عنه الكتاب المقدس: (فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل) (صموئيل الأول ١٩: ٢٤). نذكركم بأنه مات منتحراً!!!! فى صموئيل الثانى ١: ٤ - ١١.

أما قولهم على محمد - ﷺ - أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً.

حيث ثبت فى صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول ﷺ،

كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام القليل حتى يكفى الجم الغفير، وله معجزة دائمة هى معجزة الرسالة وهى القرآن الكريم الذى وعد الله بحفظه فحُفِظ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه فى كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه.



شبهة
رضاعة الكبير التى يحللها محمد لأتباعه

الرد على الشبهة

نستعرض أولاً بعض نصوص كتابهم المقدس...

الرب يأمر بالرذيلة ويوقع الناس فى الزنا عقاباً لهم!!!:

سفر صموئيل الثانى (١٢: ١١ ـ ١٢): رب الأرباب نفسه يسلم أهل بيت نبيه داود ـ عليه السلام ـ للزنا عقباً له: (هكذا قال الرب: ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس. لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدَّام جميع إسرائيل وقدام الشمس).

سفر عاموس (٧: ١٦): النبى عاموس يقول لأمصيا كاهن بيت إيل: (أنت تقول لا تتنبأ على إسرائيل. ولا تتكلم عن بيت إسحاق لذلك هكذا يقول الرب: امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف).

سفر إرميا (٨: ١٠) يقول الرب: (لذلك أعطى نساءهم للآخرين وحقولهم لمالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب).

سفر إشيعاء (٣: ١٦): (وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطراتٍ فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن، يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن).

وفى سفر هوشع (١: ٢ ـ ٣): الرب يأمر هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة زنى: ولا تتساءل إذا كان هذا تشجيعاً للزانيات أن يتمادين فى بغائهن، فإن الرب سينصفهن وسيزوجهن من أنبياء وقضاة؟: (أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع: اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاده زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركةً الرب!. فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابناً).

يهوذا جد المسيح يزنى بكنته ثامار (زوجة ابنه)

سفر التكوين (٣٨: ١٥): فرآها يهوذا فحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال: هاتى أدخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كنته. فقالت: ماذا تعطينى لكى تدخل على. فقال: إنى أرسل جدى معزى من الغنم. فقالت: هل تعطينى رهناً حتى ترسله؟ فقال: ما الرهن الذى أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصاك التى فى يدك. فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه.. وبعد ثلاثة شهور قيل ليهوذا: إن كنتك ثامار قد زنت وها هى الآن حبلى من الزنا.

ثم إنهم يجعلون نسب المسيح جاء من فارص وزارح، التوأم اللذين حملت بهما ثامار من الزنى!!!

الرب يأمر بالتغزل بثدى المرأة!!

سفر الأمثال (٥: ١٨): (وافرح بامرأة شبابك الظبية المحبوبة والوعلة الزهية، ليروك ثدياها فى كل وقت).

نشيد الإنشاد (٨: ٨): (لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان، فماذا تصنع لأختنا فى يوم خطبتها؟).

والحاصل: أن طائفة كتبت هذا الكلام فى كتابها، لا يصح عقلاً ولا منطقاً أن تتفوه أو تنكر شيئاً على أتباع الديانات الأخرى...

أما الرد على شبهتهم الساقطة فنقول وبالله التوفيق:

اتفق علماء الصحابة وأئمة المذاهب الفقهية وأتباعهم على أن الرضاع

المحرّم هو ذاك الذى يناله الرضيع وهو دون السنتين من العمر، لصريح قول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ **(البقرة: ٢٣٣)**، ولقوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: «إنما الرضاعة من المجاعة» أى أن الرضاعة التى تجب التحريم هى ما كانت فى فترة صغر الطفل كى يكون هذا اللبن سبباً فى بناء لحمه فتكون المرضعة قد أنبتت من لبنها لحم الطفل كما الأم تنبت من رحمها لحم الطفل فتكون المرضعة كالأم فى هذا الحين، وفى الترمذى وصححه عن أم سلمة مرفوعاً: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام» وللدارقطنى عن ابن عباس يرفعه: «لا رضاع إلا فى الحولين» وعند أبى داود عن ابن مسعود يرفعه: «لا رضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم».

فكل هذه الأحاديث الصحيحة تدل على أن الرضاعة المحرمة هى ما كانت دون السنتين قبل الفطام، وما بعد ذلك فلا أثر له.

وأما ما جاء فى حديث سهلة بنت سهيل امرأة أبى حذيفة من قصة سالم مولى أبى حذيفة من أن أبا حذيفة كان قد تبنى سالماً، فلما صارت امرأة أبى حذيفة يشق عليها دخول هذا الغلام الذى كبر لما رأت من تغير فى وجه زوجها أبى حذيفة، استفتت النبى - ﷺ - فى ذلك، فقال النبى ﷺ: «أرضعيه تحرمى عليه» وكيف أن أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قد رأت أن الأمر عاما، (كما فى سنن أبى داود) فكانت تأمر بنات أخواتها أن يرضعن من أحبت عائشة - أن يراها، أو يدخل عليها - خمس رضعات ثم يدخل عليها، فالجواب عن ذلك هو:

ذهب جمهور العلماء إلى أن قصة سالم هى واقعة خاصة بسالم لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها. قال الحافظ بن عبد البر: «عدم تحديث أبى مليكة بهذا الحديث لمدة سنة يدل على أنه حديث ترك قديماً ولم يُعمل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومه، بل تلقوه على أنه مخصوص». (شرح الزرقانى على الموطأ ٣/٢٩٢)، وقال الحافظ الدارمى عقب ذكره

الحديث فى سننه: «هذا لسالم خاصة».

وبذلك صرحت بعض الروايات، ففى صحيح مسلم عن أم سلمة زوج النبى - ﷺ - كانت تقول: (أبَى سائر أزواج النبى - ﷺ - أن يدخلن عليهن أحداً بهذه الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحدٌ بهذه الرضاعة ولا رائينا).

وأما ما روى عن عائشة - ﵂ - فإنه مؤول بأنها إذا تفرست بطفل خيرا وأرادت أن يدخل عليها بعد بلوغه تأمر بنات أخيها أن يرضعنه وهو صغير، فإذا كبر دخل عليها. وبالتالى يكون عملها - ﵂ - اجتهاد منها ليس إلا، تثاب عليه فى كل الأحوال، بأجر أو بأجرين. وكان فهم وعمل الصحابة وسائر أزواج النبى - ﷺ - على خلافه.

وقد ذهب البعض إلى أن حديث سهلة بنت سهيل مخصوص بمن حاله كحال سالم مولى أبى حذيفة. فلو وجد أحد تبنى شخصاً حتى كان هذا الابن مثل ابنه فى دخوله على أهله وبساطتهم معه، واضطرت امرأته لأن ترضعه ليبقى على ما هو عليه من الدخول - لو وجد هذا - لقلنا بجوازه. لكن هذا فى الوقت الحاضر ممتنع، لأن الشرع أبطل التبنى، ولهذا لما قال النبى ﷺ: **«إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول الله: أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت[1]»** ولو كان إرضاع الكبير مؤثراً لقال: «الحمو ترضعه زوجة أخيه مثلاً حتى يدخل على امرأة من محارمه» فلما لم يرشد النبى - ﷺ - أو يوجه إلى هذا علم أن رضاع الكبير بعد إبطال التبنى لا يمكن أن يكون له أثر.

يقول الدكتور/ سعد الدين بن محمد:

فقياس غير سالم بسالم قياس وإلحاق مع الفارق، لأن سالماً - ﵁ - كان دخوله جائزاً على سهلة ﵂، حيث كان ولدها بالتبنى، وذلك عندما كان التبنى جائزاً، وهذا يدل على أن دخوله كان مباحاً فى الأصل، ولما حرم التبنى، ووجد

(١) رواه البخارى - باب النكاح - رقم ١١١.

الحرج والمشقة من الاحتجاب؛ لأنه كان بمثابة الولد، رخص الرسول - ﷺ - فى إرضاعه كبيراً ليستمر له ما كان فى حقه مباحاً، أما وبعد أن حرم التبنى، فليس أحد من الرجال يكون دخوله على النساء مباحاً فيطرأ الحرج والمشقة فى حقه حتى نحتاج إلى إزالتهما فتأمل، والله أعلم.

وذهب البعض أيضاً إلى جواز الترخيص فى إرضاع الكبير وترتيب أحكام الرضاعة عليه فى التحليل والتحريم عند وجود المشقة فى الاحتجاب عنه، وعدم الاستغناء عن دخوله على النساء، كما فى قصة سالم مولى أبى حذيفة رضي الله عنهما، وهذا القول منسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو قول بعيد لأن المشقة غير منضبطة، أما لو كانت ضرورة، فللضرورة شأنٌ آخر، والضرورات تقدر بقدرها.

والظاهر أن لتخصيص الرخصة بسالم - رضي الله عنه - من دون الناس هو الراجح من حيث اختيار معظم أمهات المؤمنين له، وذهاب معظم الصحابة وجمهور العلماء إلى القول به، وهو المفهوم من ظاهر النصوص المعارضة لحديث سهلة بنت سهيل، ولو كان الأمر على إطلاقه لشاع بين الصحابة الكرام فمن بعدهم من السلف، وتعدّدت طرقه، ورويت أخباره.

تنبيه: لقد فهم بعض أهل الكتاب من قوله - عليه الصلاة والسلام - لسهلة: (أرضعيه) أنه يتحتم ملامسة الثدى فقالوا كيف يكون هذا؟! ومن أحسن ما قيل فى توجيه ذلك قول الإمام النووى رحمه الله فى شرحه على صحيح مسلم (١٠/٣١): (قال القاضى: لعلها حلبته ثم شربه، دون أن يمسَّ ثديها، ولا التقت بشرتاهما إذ لا يجوز رؤية الثدى، ولا مسه ببعض الأعضاء، وهذا الذى قاله القاضى حسن، ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة، كما خص بالرضاعة مع الكبير).

وقال أبو عمر بن عبد البر: (صفة رضاع الكبير أن يجلب له اللبن ويسقاه فأما أن تلقمه المرأة ثديها فلا ينبغى عند أحد من العلماء، وهذا ما رجحه

القاضى والنووى) (شرح الزرقانى ٣/٣١٦).

فإن قيل إنه ورد فى الحديث قول سهلة: (وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟) نقول هذا وصف نسبى بالنسبة لما يعرف عن الرضاع بأنه عادة لا يكون إلا للصغير.

فإن أبيتم روينا لكم ما رواه ابن سعد فى طبقاته عن محمد بن عبد الله ابن أخى الزهرى عن أبيه قال كانت سهلة تحلب فى مسعط أو إناء قدر رضعته فيشربه سالم فى كل يوم حتى مضت خمسة أيام فكان بعد ذلك يدخل عليها وهى حاسر[١] رخصة من رسول الله - ﷺ - لسهلة» (الطبقات الكبرى ٨/٢٧١ الإصابة لابن حجر ٧/٧١٦).

ثم إن النص لم يصرح بأن الإرضاع كان بملامسة الثدى. وسياق الحديث متعلق بالحرج من الدخول على بيت أبى حذيفة فكيف يرضى بالرضاع المباشر كما فهم هؤلاء؟

أو نسى هؤلاء أن النبى حرم المصافحة؟ فكيف يجيز لمس الثدى بينما يحرم لمس اليد لليد؟

ثم إننا نسأل هؤلاء: هل الطفل الذى يشرب الحليب من غير ارتضاعه من الثدى مباشرة يثبت له حكم الرضاعة أم لا؟

والجواب كما عند جمهور العلماء أنه يثبت، وبالتالى نقول أنه إذا كان شرب اللبن بدون مباشرة الثدى يثبت حكم الرضاع للصغير فإنه أولى به للكبير ذلك لأن شرب اللبن بدون مباشرة الثدى يصح أن يكون رضاعاً.

وأخيراً: ننقل من كلام العالم النحوى ابن قتيبة الدِّيْنَوَرى (ت ٢٧٦هـ) فى توجيهه لحديث سهلة:

قال ابن قتيبة:

فأراد رسول الله - ﷺ - بمحلها عنده، وما أحب من ائتلافهما، ونفى

(١) مكشوفة الرأس.

الوحشة عنهما - أن يزيل عن أبى حذيفة هذه الكراهة، ويطيب نفسه بدخوله فقال لها: «أرضعيه». ولم يرد: ضعى ثديك فى فيه، كما يفعل بالأطفال. ولكن أراد: احلبى له من لبنك شيئاً، ثم ادفعيه إليه ليشربه. ليس يجوز غير هذا، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثدييها، إلى أن يقع الرضاع، فكيف يبيح له ما لا يحل له وما لا يؤمن معه من الشهوة؟ (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٣٠٨ - ٣٠٩).

قلت: كيف لا وربنا جل جلاله يقول فى محكم كتابه: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠).

فالحجة لا تقوم على الخصم بما فهمه خصمه وإنما تقوم بنص صريح يكون هو الحجة.



شبهة
نبى الإسلام يتعرض للسحر

الرد على الشبهة

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رجلاً من بنى زريق يقال له: لبيد ابن الأعصم سحر رسول الله - ﷺ -، حتى كان رسول الله يخيل إليه أنه كان يفعل الشىء وما فعله...

إلا أن هناك بعض العلماء أنكروا هذا الحديث، وردوه ردّاً منكراً بدعوى أنه مناقض لكتاب الله الذى برأ الرسول من السحر.

فمن هؤلاء العلماء (الجصاص) فى كتابه أحكام القرآن: (١: ٤٩)

حيث قال: (ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعباً بالحشو الطغام...)

ومنهم أبو بكر الأصم حيث قال: (إن حديث سحره - ﷺ - المروى هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله سبحانه وتعالى...) (نقله عنه شارح المجموع: ١٩: ٢٤٣).

ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمى فى تفسيره المسمى (محاسن التأويل) حيث قال: (ولا غرابة فى أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرجاً فى الصحاح، وذلك لأنه ليس كل ماخرج فيها سالماً من القدح والنقد سنداً أو معنى كما يعرفه الراسخون).

وقال الشيخ محمد عبده: (وقد ذهب كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة، ولا ينبغى لها إلى أن الخبر بتأثير السحر قد صح... وقال: وهو مما يصدق فيه المشركين: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ (الفرقان: ٨).

وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة وبينوا زيفها بالآتى:

أولاً: من المعلوم أن الرسول - ﷺ - بشر، فيجوز أن يصيبه ما يصيب البشر من الأوجاع والأمراض وتعدى الخلق عليه وظلمهم إياه كسائر البشر إلى أمثال ذلك مما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها فإنه عليه الصلاة والسلام لم يُعصم من هذه الأمور، وقد كان عليه الصلاة والسلام يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء وغير ذلك، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه يخيل إليه بسببه فى أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطأ زوجاته وهو لم يطأهن.

وحدث أنه جاء للرسول - ﷺ - أحد الصحابة يعوده قائلاً له: «إنك توعك يا رسول الله فقال: إنى أوعك كما يوعك الرجلان منكم»[1] إلا أن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقى الوحى عن الله سبحانه وتعالى ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على عصمته - ﷺ - فى تلقى الوحى وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشئون الدين.

والذى وقع للرسول - ﷺ - من السحر هو نوع من المرض الذى يتعلق بالصفات والعوارض البشرية والذى لا علاقة له بالوحى وبالرسالة التى كلف بإبلاغها، لذلك يظن البعض أن ما أصاب الرسول - ﷺ - من السحر هو نقصا وعيبا وليس الأمر كما يظنون لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعترى البشر كما قال الله سبحانه وتعالى:

---

(١) ذلك لأن له أجرين فى ذلك كما ثبت فى الحديث.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

(إبراهيم: ١١).

واستدل ابن القصار على أن الذى أصابه كان من جنس المرض يقول الرسول فى حديث آخر: «أما أنا فقد شفانى الله» ويؤيد ذلك حديث ابن عباس عند ابن سعد: (مرض النبى - ﷺ - وأُخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان) فتح البارى ١٠: ٢٢٧.

قال المازرى: (إن الدليل قد قام على صدق النبى فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وعلى عصمته فى التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه أنه وطأ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان فى المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة.

قال القاضى عياض رحمه الله:

(قد نزه الله سبحانه وتعالى الشرع والنبى عما يدخل فى أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته.

وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولا يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شىء من تبليغه وشريعته، أو يقدح فى صدقه لقيام الدليل، والإجماع على عصمته من هذا، أما ما طرأ عليه فى أمر دنياه التى لم يبعث بسببها، ولا فُضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلى عنه كما كان.

وجاء فى مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد أن أخت لبيد بن الأعصم قالت: (إن يكن نبيا فسيُخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله). فوقع الشق الأول.

ثانياً: أما دعواهم أن السحر من عمل الشيطان والشيطان لا سلطان له على عباد الله لأن الله يقول:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٢).

فنقول:

أن المراد من قوله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أى فى الإغواء والإضلال فالسلطان المثبت للشيطان هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه للشر والباطل وإفساد إيمانهم، فهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى حكاية عن الشيطان فى مخاطبته رب العزة:

﴿ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢، ٨٣)، ولا ريب أن الحالة التى تعرض لها الرسول - ﷺ - لا تنطبق عليها هذه الآية الكريمة.

ولا شك أن إصابة الشيطان للعبد الصالح فى بدنه لا ينفيه القرآن، وقد جاء فى القرآن ما يدل على إمكان وقوعها، ومن ذلك قول أيوب - عليه السلام - فى دعائه ربه: ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(١) (ص: ٤١).

وموسى - عليه السلام - من أولى العزم من الرسل، وقد خيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنها تسعى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (طه: ٦٧)، فهذا التخيل الذى وقع لموسى يطابق التخيل الذى وقع للرسول ﷺ، إلا أن تأثير السحر كما قررنا لا يمكن أن يصل إلى حد الإخلال فى تلقى الوحى والعمل به وتبليغه للناس، لأن النصوص قد دلت على عصمة الرسل فى ذلك.

ثالثاً: نريد أن نسأل النصارى سؤالاً:

إذا كنتم تعتقدون أن ما أصاب النبى محمداً على أيدى اليهود من السحر والذى قررنا أنه لم يكن له تأثير فى دينه وعبادته، ولا فى رسالته التى كلف بإبلاغها، إذا كنتم تعتقدون أن ما أصابه هو قدح وطعن فى نبوته فهل يعنى

---

(١) بل هذا يكون زيادة فى الأجر.

ذلك أنكم أسقطتم أنبياء كتابكم المقدس الذى نص على أنهم عصاة زناة كفار؟!

ألم يرد فى كتابكم المقدس أن نبى الله سليمان كفر وعبد الأوثان وهو نبى من أنبياء الله (سفر الملوك الأول).

فهل أسقطتم نبوءة سليمان وهل ما أقدم عليه النبى سليمان من السجود للأوثان والكفر بالله هو أمر موجب للطعن فى نبوته ومسقط لها؟!

وإذا كان ما قام به النبى سليمان من السجود للأوثان والكفر بالله هو أمر لا يوجب الطعن فى نبوته ولا يسقط نبوته عندكم، فكيف تعتبرون ما أصاب النبى محمد - ﷺ - من السحر الذى لم يكن له تأثير فى دينه وعبادته ولا فى رسالته التى كلف بإبلاغها هو أمر موجبا للطعن فى نبوته؟

ثم أخبرونا عن ذلك الشيطان الذى تسلط على المسيح طوال ٤٠ يوماً كما جاء فى إنجيل «متى» ابتداءً من الأصحاح الرابع، حيث كان إبليس يقود المسيح إلى حيث شاء فينقاد له. فتارة يقوده إلى المدينة المقدسة ويوقفه على جناح الهيكل وتارة يأخذه إلى جبل عال جدا ... إلخ.

رابعاً: فى قصة سحر النبى عليه الصلاة والسلام الكثير من أدلة نبوته عليه الصلاة والسلام طبقاً للآتى:

١ - (كيف عرف النبى عليه الصلاة والسلام أن الذى سحره هو لبيد بن الأعصم وأن السحر موجود فى مكان كذا وكذا لو لم يكن نبيّاً؟ فالنبى عليه الصلاة والسلام هو الذى أرسل أصحابه ليستخرجوا السحر من المكان الذى وضع فيه، (وقصة إخبار الملائكة لمحمد عليه الصلاة والسلام بموضع ومكان السحر لم يذكرها هؤلاء الضالون فهم انتقائيون فى اختيار موادهم).

٢ - لقد فك الرسول عليه الصلاة والسلام السحر بقراءة المعوذتين وهذا دليل على أن المعوذتين كلام الله عز وجل وأن محمداً نبى موحى إليه.

٣ - هذه القصة دليل على كذب المستشرقين عندما قالوا إن السنة النبوية

قد وضعها أصحاب النبى ليثبتوا أنه نبى وأنه كامل فى كل صفاته فلو كان كلامهم صحيحاً لكان هذا الحديث أول شىء يحذفه الصحابة من السنة لأنه ينقص من قدر النبى - ﷺ - على حد زعمهم.

فقد أثبتنا الآن أن هذا الحديث يدل على نبوة محمد - ﷺ - قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١).



شبهة
آمنت بك وبمن أنزلك (التوراة)

الرد على الشبهة

يذكر بعض أهل الكتاب حديثاً وردت به قصة استشارة اليهود لرسول الله - ﷺ - فى أمر حادثة زنا فأجابهم - ﷺ - بحكم الزنا ووضح لهم أنه موجود بكتابهم ولكنهم أخفوه فناشدهم الله فأظهروا النص.

ويحاول ضلال النصارى الاستدلال بلفظ ورد بالحديث أن النبى - ﷺ - قال عن التوراة: (آمنت بك وبمن أنزلك).

سنن ابن ماجه:

١ - حدثنا على بن محمد. ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد عبد الله ابن مرة، عن البراء بن عازب: قال: مر النبى - ﷺ - بيهودى محمَّم مجلود. فدعاهم فقال:

(هكذا تجدون فى كتابكم حد الزانى؟) قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: (أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزانى؟) قال: لا. ولولا أنك نشدتنى لم أخبرك نجد حد الزانى، فى كتابنا، الرجم. ولكنه كثر فى أشرافنا الرجم. فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه. وكنا إذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع. فاجتمعنا على التحميم والجلد، مكان الرجم. فقال النبى

ﷺ: **«اللهم! إنى أول من أحيا أمرك، إذ أماتوه»**. وأمر به فرجم.

وفى سنن أبى داوود:

١ ـ **حدثنا عبد الله بن مسلمة قال:** قرأت على مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا. فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: **«ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا؟»** فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سَلاَم: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فجعل أحدهم يده على آية الرجم، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفعها فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ـ ﷺ ـ فرجما. قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحنِى على المرأة يقيها الحجارة.

٢ ـ حدثنا مُسَدَّد، ثنا[1] عبد الواحد بن زياد، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن البراء بن عازب قال: مرُّوا على رسول الله ـ ﷺ ـ بيهودى قد حُمِّمَ وجهه وهو يطاف به فناشدهم ما حد الزانى فى كتابهم؟. قال: فأحالوه على رجل منهم، فنشده النبى ـ ﷺ ـ ما حد الزانى فى كتابكم؟. فقال: الرجم، ولكن ظهر الزنا فى أشرافنا فكرهنا أن يترك الشريف ويقام على من دونه فوضعنا هذا عنا، فأمر به رسول الله ـ ﷺ ـ فَرُجِم. ثم قال: **«اللهم إنى أول من أحيا ما أماتوا من كتابك»**.

٣ ـ حدثنا محمد بن العلاء، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على رسول الله ـ ﷺ ـ بيهودى مُحمَّم مجلود، فدعاهم فقال: وهكذا تجدون حدّ الزانى؟ قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم قال له: «نشدتك بالله الذى أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟» فقال: اللهم لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك،

(١) اختصار للفظ حدثنا.

نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم، ولكنه كثر فى أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه، وإذا أخذنا الرجل الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا: تعالوا فنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد وتركنا الرجم.

فقال رسول الله - ﷺ -: **«اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»** فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ** ﴾ (المائدة: ٤١)، إلى قوله: ﴿ **يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا** ﴾ (المائدة: ٤١)، إلى قوله: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (المائدة: ٤٢ - ٤٤) فى اليهود إلى قوله: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ فى اليهود، إلى قوله: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (المائدة: ٤٥ - ٤٧) قال: هى فى الكفار كلها، يعنى: هذه الآية.

٤ - حدثنا أحمد بن سعيد الهمدانى، ثنا ابن وهب، حدثنى هشام بن سعد، أن زيد بن أسلم حدثه، عن ابن عمر قال: أتى نفرٌ من يهود فدعوا رسول الله - ﷺ - إلى القف فأتاهم فى بيت المدراس فقالوا: يا أبا القاسم، إن رجلاً منا زنى بامرأة فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله - ﷺ - وسادة فجلس عليها ثم قال: **«ائتونى بالتوراة»** فأتى بها. فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها ثم قال: **«آمنت بك وبمن أنزلك»**. ثم قال: **«ائتونى بأعلمكم»** فأتى بفتى شابّ، ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع.

٥ - حدثنا محمد بن يحيى، ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهرى، قال: ثنا(١) رجل من مزينة، ح(٢)، وثنا أحمد بن صالح، ثنا عنبسة، ثنا يونس قال: قال محمد بن مسلم: سمعت رجلاً من مزينة ممن يتّبع العلم ويعيه، ثم اتفقا: ونحن عند سعيد بن المسيب، فحدثنا عن أبى هريرة وهذا حديث معمر

(١) اختصار للفظ حدثنا.

(٢) حرف (ح) علامة على تحول سند الحديث إلى سند آخر.

وهو أتمُّ، قال: زنى رجل من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبى؛ فإنه نبى بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله. قلنا: فُتّيا نبى من أنبيائك. قال: فأتوا النبى - ﷺ - وهو جالس فى المسجد فى أصحابه فقالوا: يا أبا القاسم، ما ترى فى رجل وامرأة منهم زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم. فقام على الباب فقال: «أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى إذا أحصن؟» قالوا: يحمّم ويجبه ويجلد، والتجبية: أن يحمل الزانيان على حمار ويقابل أفقيتهما ويطاف بهما.

قال: وسكت شاب منهم. فلما رآه النبى - ﷺ - سكت ألظَّ به النشدة فقال: اللهم إذ نشدتنا فإنا نجد فى التوراة الرجم. فقال النبى - ﷺ -: **«فما أول ما ارتخصتم أمر الله؟»** قال: زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخّر عنه الرَّجم، ثم زنى رجل فى أسرة من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجىء بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم. فقال النبى - ﷺ -: **«فإنى أحكم بما فى التوراة»** فأمر بهما فرجما.

قال الزهرى: فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ **(المائدة: ٤٤)** - كان النبى - ﷺ - منهم.

٦ - حدثنا عبد العزيز بن يحيى أبو الأصبغ الحرانى، قال: حدثنى محمد - يعنى: ابن سلمة - عن محمد بن إسحاق، عن الزهرى قال: سمعت رجلاً من مَزَيْنَة يحدث سعيد ابن المسيب، عن أبى هريرة قال:

زنى رجل وامرأة من اليهود وقد أحْصنا[1] حين قدم رسول الله - ﷺ - المدينة، وقد كان الرجم مكتوباً عليهم فى التوراة فتركوه وأخذوا بالتجبية، يضرب مائة بحبل مطلى بقار ويحمل على حمار وجهه مما يلى دبر الحمار، فاجتمع أحبار من أحبارهم فبعثوا قوماً آخرين إلى رسول الله - ﷺ - فقالوا:

---

(١) كانا متزوجين أو سبق لهما الزواج.

سلوه عن حدِّ الزانى، وساق الحديث.

فقال فيه: قال: ولم يكونوا من أهل دينه، فيحكم بينهم فخيِّر فى ذلك قال: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ **(المائدة: ٤٢)**.

٧ ـ حدثنا يحيى بن موسى البلخى، ثنا أبو أسامة قال مجالد: أخبرنا عن عامر، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا قال: **«ائتونى بأعلم رجلين منكم»**. فأتوه بابنى صوريا، فنشدهما كيف تجدان أمر هذين فى التوراة؟.

قالا: نجد فى التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة رجما. قال: **«فما يمنعكما أن ترجموهما؟»** قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل. فدعا رسول الله ـ ﷺ ـ بالشهود، فجاءوا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة، فأمر النبى ـ ﷺ ـ برجمهما.

وفى صحيح مسلم:

١ ـ حدثنى الحكم بن موسى أبو صالح، حدثنا شعيب بن إسحق، أخبرنا عبيد الله، عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره: أن رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بيهودى ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله ـ ﷺ ـ حتى جاء يهود. فقال: **«ما تجدون فى التوراة على من زنى؟»** قالوا: نسود وجوههما ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما. قال: **«فأتوا بالتوراة، إن كنتم صادقين»** فجاؤوا بها، فقرأوها، حتى إذا مروا بآية الرجم، وضع الفتى الذى يقرأ يده على آية الرجم.

٢ ـ حدثنا يحيى بن يحيى، وأبو بكر بن أبى شيبة، كلاهما عن أبى معاوية قال يحيى: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن البراء بن عازب قال:

مُرَّ على النبى ـ ﷺ ـ بيهودى محمماً مجلوداً، فدعاهم ـ ﷺ ـ فقال: «هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم

فقال: «أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر فى أشرافنا.

٣ ـ حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة. كلاهما عن أبى معاوية. قال يحيى: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش، عن عبد الله بن مُرَّة، عن البراء بن عازب. قال:

مر على النبى ـ ﷺ ـ بيهودى محمماً مجلوداً. فدعاهم ـ ﷺ ـ فقال: «هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم. فقال: «أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟» قال: لا. ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك. نجده الرجم. ولكنه كثر فى أشرافنا. فكنا، إذا أخذنا الشريف تركناه. وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا: تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع. فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«اللهم! إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»**. فأمر به فرجم.

فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ **(المائدة: ٤١)**، يقول: ائتوا محمداً ـ ﷺ. فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا.

فأنزل الله تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ **(المائدة: ٤٤)**، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ **(المائدة: ٤٥)**. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ **(المائدة: ٤٧)**. فى الكفار كلها.

وفى مسند الإمام أحمد:

١ ـ حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب قال: ـ مر على رسول الله ﷺ بيهودى محمم

مجلود فدعاهم فقال أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم فقالوا نعم قال: فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك أنشدتنى بهذا لم أخبرك نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع؛ فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال رسول الله ﷺ: **«إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»** قال: فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ (المائدة: ٤١)، يقولون: ائتوا محمداً فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله: :﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) قال فى اليهود إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥). ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (المائدة: ٤٧). قال: هى فى الكفار كلها.

وفى نصب الراية:

١ ـ حديث آخر رواه الطبرانى فى «معجمه» حدثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْ حْذَرُوا﴾ (المائدة: ٤١)، قال: هم اليهود زنت منهم امرأة، وقد كان الله تعالى حكم فى التوراة فى الزنا بالرجم، فنفسوا أن يرجموها، وقالوا: انطلقوا إلى محمد، فعسى أن يكون عنده رخصة، فاقبلوها، فأتوه، فقالوا: يا أبا القاسم إن امرأة منا زنت، فما تقول فيها؟ فقال ﷺ: كيف حكم الله فى التوراة فى الزانى؟ فقالوا: دعنا من التوراة، فما عندك فى ذلك؟ فقال: ائتونى بأعلمكم بالتوراة التى أنزلت على موسى ـ عليه السلام ـ، فأتوه، فقال لهم: بالذى نجاكم من آل فرعون، وبالذى فلق البحر فأنجاكم، وأغرق آل فرعون، ألا أخبرتمونى ما حكم الله فى التوراة فى

الزانى؟ فقالوا: حكم الله الرجم.

وفى صحيح البخارى:

١ ـ حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فكروا له ﷺ أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا: نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدها يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم قالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ـ ﷺ ـ فرجما فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة.

قال ابن حجر:

وفى رواية أيوب فجاءوا وزاد عبيد الله بن عمر «بها فقرأوها» وفى رواية زيد بن أسلم: «فأتى بها فنزع الوسادة من تحته فوضع التوراة عليها ثم قال آمنت بك وبمن أنزلك».

كل الروايات التى وردت لم ترد بها لفظة (آمنت بك وبمن أنزلك) إلا فى رواية أبى داود عن زيد بن أسلم وزيد بن أسلم من طبقة التابعين فيكون سند زيادة زيد بن أسلم منقطعاً. ولكن المعنى لا غبار عليه لما سنسوقه لاحقاً.

ونلخص ما سبق أن الحديث ورد بعدة صيغ فى مواطن مختلفة:

١ ـ حديث البراء بن عازب (رواه أبو داود ومسلم وابن ماجه وفى مسند أحمد).

٢ ـ حديث أبو هريرة (رواه أبو داود).

٣ ـ حديث ابن عمر (رواه أبو داود ومسلم).

٤ ـ حديث جابر بن عبد الله (رواه أبو داود).

ولهذا فقول القائل من ضلال النصارى كيف يقول محمد - ﷺ - (آمنت بك وبمن أنزلك) أليس هذا إقرار منه بالتوراة، وهنا عدة مسائل تغيب عن فكر ضلال النصارى لما غشى أعينهم من الكفر:

الأولى: أن الرسول - ﷺ - هو المبلغ عن رب العباد، وهو قد حدد وبين لنا أوامر الشريعة ونواهيها، وما بلغه من رب العزة بلغنا به، ولهذا فنحن مأمورون باتباع ما يشرعه لنا. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ **(الحشر: ٧)**، وهو المبلغ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ **(المائدة: ٦٧)**، ومما أنزل إليه - ﷺ - ومما بلغنا به - الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ **(البقرة: ٢٨٥)**، ولقوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ **(البقرة: ١٣٦)**، فأحد عناصر ودعائم الإيمان برسالة محمد - ﷺ - هو الإيمان بالكتب السابقة إجمالاً أنها من عند الله نزلت على أنبيائه المبلغين عنه وأنهم خير بشر بلغوا أمانة الله.

الثانية: ما أقره النبى - ﷺ - وهو المبلغ عن ربه من شرع من هم قبلنا كاليهود والنصارى يعد من الصحيح من شرعهم ومما لم تناله يدهم بالتحريف والتبديل، سواء تحريف لفظ وخط، أو تحريف معنى وتأويل، والتحريف أنواع، وهذا مما لا يفهمه عوام النصارى، وليس هذا موضعه، ولقد وصفهم رب العزة بأنهم ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ **(الفرقان: ٤٤)**.

أما إيماننا بكتبهم إجمالاً فلا يعد من قبيل الإقرار بكل ما أتى بها، بل هو إيمان تسليم بأنها نزلت من عند الله على رسل الله وأما تفاصيل كتبهم ففيه مسائل:

الأولى: ما ورد لديهم يدل على وحدانية الله وإفراده بالعبادة، حتى لو لم يصلنا ما يؤيده من قول أو إقرار من نبى الله - ﷺ - فهذا نؤمن به بصريح لفظه

ولا نسلم لهم بتأويله أو صرف اللفظ عن صريح معناه كما يذهبون فى تفسيراتهم.

الثانية: ما ورد تأييد وإقرار له من نبى الله - ﷺ - كمسألتنا هذه - مسألة رجم الزانى - وهى مما بين - ﷺ - أنهم أخفوها عن أتباعهم وأبدلوا الحكم بحكم آخر وهو نوع من التحريف ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (المائدة: ١٥)، والقاعدة الشرعية نوافقهم فيما وافق شرعنا لقول الله: ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧).

تصديق: لما معهم من الحق وافق شرعنا وأقره - ﷺ - فكتابهم كما ذكرنا بموضع آخر به من الحق جزء ومن الباطل أجزاء.

تفصيل: لما أجمل بكتابهم ولم تتضح أحكامه بينها شرعنا ويقرها - ﷺ.

الثالثة: نرفض ما فيه شرك بالله كإشراك أحد معه سبحانه فى العبادة سواء كان شرك الربوبية أو الألوهية.

مما سبق يتبين لنا أن قول رسول الله - ﷺ - : «آمنت بك وبمن أنزلك» هو إيمان إجمال لا تفصيل، إيمان أنها من عند الله نزلت على نبى من أنبياء الله، وهذا ما لا ينكره عاقل أن التوراة كتاب من كتب الله، ومن ينكر هذا سواء من ملة الإسلام أو أى ملة أخرى فهو كافر بلا ريب.

لا يجوز فى حق النبى تأخير البيان عن وقت الحاجة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، فهو - ﷺ - مأمور بالتبليغ فى الحال، ولما سئل - ﷺ - عن حكم الزانى من اليهود رغبة منهم فى عدم تحمل مسئولية الحكم فى الحادثة - كان هذا وقت التبليغ فلا يجوز فى حقه - ﷺ - تأخير التبليغ، فبين لهم - ﷺ - وهذه الحادثة أدل على صدق النبى - ﷺ - ولو لم

---

(١) يقلبها كيف يشاء.

يكن رسول الله مبلغاً عنه لكان أولى به أن يخالفهم بالحكم وهذا ما لا يجوز بحقه ﷺ.

وتبليغه - ﷺ - فى هذه الحالة هو نوع من إقامة الحجة عليهم ونوع من الهداية فهو المبلِّغ والهُدَى من الله والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن(١) كما ورد بالأثر.

وهنا مسألة أخرى يثيرها النصارى متعلقة بهذه المسألة، فيستدلون بالآية ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٤٣)، كإقرار من رب العزة بالتوراة وبإحكام التوراة وأن محمداً - ﷺ - بعث للعرب فقط أو أن التوراة هى مصدر أحكام النبى - ﷺ، وهذا استدلال فاسد، فمعرفة التفسير تستلزم معرفة أسباب النزول، وهذا ما لا يفهمه النصارى، وسبب نزول الآيات هو القصة السابقة فليعلم هذا.



شبهة
عدم عصمة الرسول - ﷺ - وموقف القرآن من العصمة

هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ، ويقدمون الأدلة على ذلك بسورة ﴿عبس وتولى﴾ وكذلك عندما جامل الرسول ﷺ، زوجاته، ونزلت الآية الكريمة التى تنهاه عن ذلك (ا. هـ).

الرد على الشبهة

إن عصمة الرسول ﷺ، وكذلك عصمة كل الرسل - عليهم السلام - يجب أن تفهم فى نطاق مكانة الرسول... ومهمة الرسالة.. فالرسول: بشر يوحى إليه.. أى أنه - مع بشريته - له خصوصية الاتصال بالسماء، بواسطة الوحى... ولذلك فإن هذه المهمة تقتضى صفاتٍ يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه، كى تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكولة إلى صاحبها.

والرسول مكلف بتليغ الرسالة، والدعوة إليها، والجهاد فى سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله على الناس طاعة هى جزء من طاعة الله - سبحانه وتعالى - ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(1) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾(2) ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ

(1) النساء: ٥٩.

(2) آل عمران: ٣٢.

فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[١] ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٢] ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة فى هذا البلاغ الإلهى الذى اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلاً عن النقل - تحكم بأن مرسل الرسالة إذا لم يتخير الرسول الذى يضفى الصدق على رسالته، كان عابثاً.. وهو ما يستحيل على الله، الذى يصطفى من الناس رسلاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهى... والحُجة على الناس بصدق هذا الذى يبلغون[٣].

وفى التعبير عن إجماعة الأمة على ضرورة العصمة للرسول فيما يبلغ عن الله، يقول الإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) عن عصمة الرسل - كل الرسل -: «.. ومن لوازم ذلك بالضرورة: وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم، وصحة عقولهم، وصدقهم فى أقوالهم، وأمانتهم فى تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنه منزهون عما يضاد شيئاً من هذه الصفات، وأن أرواحهم ممدودة من الجلال الإلهى بما لا يمكن معه لنفسه إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن من حكمة الصانع الحكيم - الذى أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم - أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها، بمحض فضله، بعض مَنْ يصطفيه من خلقه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطرة السليمة، ويبلغ بأرواحهم الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية الغائب، فهم فى الدنيا كأنهم ليسوا من أهلها، هم وفد الآخرة فى لباس من

---

(١) النساء: ٨٠. (٢) آل عمران: ٣١.

(٣) ذلك مما يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام: الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

ليس من سكانها.. أما فيما عدا ذلك - أى الاتصال بالسماء والتبليغ عنها - فهم بشر يعتريهم ما يعترى سائر أفراده، يأكلون ويشربون وينامون ويسهون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، ويمرضون وتمتد إليهم أيدى الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وقد يقتلون»[1].

فالعصمة - كالمعجزة - ضرورة من ضرورات صدق الرسالة، ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل - على رسولنا وعليهم الصلاة والسلام.

وإذا كان الرسول - كبشر - يجوز على جسده ما يجوز على أجساد البشر.. وإذا كان الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهاد والشورى وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل فى مناطق وميادين التبليغ عن الله - سبحانه وتعالى - لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى فى مناطق وميادين التبليغ عن الله لتطرق الشك إلى صلب الرسالة والوحى والبلاغ، بل وإلى حكمة من اصطفاه وأرسله ليكون حجة على الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطاً ضرورياً من شروط رسالة جميع الرسل - عليهم السلام -... فالرسول فى هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2]. وبلغة ما هو بقول بشر، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله، وبغير العصمة لا يتأتى له هذا المقام.

أما اجتهادات الرسول - ﷺ - فيما لا وَحْىَ فيه، التى هى ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية، **فلقد كانت تصادف الصواب والأولى، كما كان يجوز عليها غير ذلك**.. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة، رضوان الله عليهم فى كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول - ﷺ - يسألونه - قبل الإدلاء بمساهماتهم فى الرأى - هذا السؤال الذى شاع فى السّنة والسيرة:

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج٢ ص٤١٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٢) االنجم: ٣ - ٤.

«يا رسول الله، أهو الوحى؟ أم الرأى والمشورة؟...».

فإن قال: إنه الوحى. كان منهم السمع والطاعة له، لأن طاعته هنا هى طاعة لله.. وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم، لأن علم الله - مصدر الوحى - مطلق وكلى ومحيط، بينما علمهم نسبى، فقد تخفى عليه الحكمة التى لا يعملها إلا الله.. **أما إن قال لهم الرسول - جواباً عن سؤالهم -: إنه الرأى والمشورة... فإنهم يجتهدون، ويشيرون، ويصوبون.. لأنه - ﷺ - هنا ليس معصوماً، وإنما هو واحد من المقدمين فى الشورى والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات** الصحابة كثيرة ومتناثرة فى كتب السنة ومصادر السيرة النبوية - فى مكان القتال يوم غزوة بدر.. وفى الموقف من أسرارها.. وفى مكان القتال يوم موقعة أحد... وفى مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.. إلخ.

ولأن الرسول - ﷺ - قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

وحتى لا يقتدى الناس باجتهاد نبوى لم يصادف الأوْلى، كان نزول الوحى لتصويب اجتهاداته التى لم تصادف الأولى، بل وعتابه - أحياناً - على بعض هذه الاجتهادات والاختيارات من مثل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾(٢). ومن مثل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

(١) الأحزاب: ٢١.
(٢) عبس: ١ - ١٠.

الْخَبِيرُ﴾[1]. ومن مثل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وغيرها من مواطن التصويب الإلهى للاجتهادات النبوية فيما لم يسبق فيه وحى، وذلك حتى لا يتأسى الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأَوْلى.

فالعصمة للرسول ﷺ، فيما يبلغ عن الله شرط لازم لتحقيق الصدق والثقة فى البلاغ الإلهى، ومن ثم لا يكون هناك فارق بين الوحى والمعصوم والمعجزة وبين الفلسفات والإبداعات البشرية التى يجوز عليها الخطأ والصواب.. فبدون العصمة تصبح الرسالة والوحى والبلاغ قول بشر، بينما هى - بالعصمة - قول الله - سبحانه وتعالى - الذى بلغه وبينه المعصوم - عليه الصلاة والسلام -.. فعصمة المُبلِّغ هى الشرط لعصمة البلاغ.. بل إنها - أيضاً - الشرط لنفى العبث وثبوت الحكمة لمن اصطفى الرسول وبعثه وأوحى إليه بهذا البلاغ.



(١) التحريم: ١ - ٣.

(٢) الأنفال: ٦٧ - ٦٨.

شبهــة
معاتبة أم المؤمنين حفصة رسول الله ﷺ

جاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ **(التحريم: ١ ـ ٣)**، عدة روايات انتقى الخبثاء بعضها ونفخوا فيها ليغيروا معانيها ويحمّلوها أكثر مما تحتمل بكثير ومفاد هذه الروايات أن رسول الله ـ ﷺ ـ أصاب ماريه أم ابنه إبراهيم فى البيت المخصص لحفص قالت: أى رسول الله فى بيتى وفى يومى؟

فقال ﷺ: ألا ترضين أن أحرمها علىّ فلا أقربها؟ فقالت: أى رسول الله كيف يحرُم عليك الحلال؟ فحلف بالله ألا يصيبها وقال لا تذكرى ذلك لأحد.

ووردت عدة روايات لهذا الحديث كثير منها ضعيف ومنها روايات تفيد بأن ذلك كان يوم عائشة والصحيح أن ذلك كان يوم حفصة كما دلت الكثير من النصوص والله أعلم.

وقد أمسك السفهاء بهذه الرواية وأخذوا يخوضون فى عرض رسول الله ـ ﷺ ـ حقداً عليه بل وبثوا سمومهم وسفالتهم وقالوا إن أم المؤمنين حفصة قد وجدت رسول الله ـ ﷺ ـ فى وضع (الخيانة الزوجية)!! وأنه صلى الله عليه

وآله وسلم طلب منها ألا تفضحه إلى غير ذلك من ترهات عقولهم السفيهة وقلوبهم المريضة بل وصل الحقد إلى درجة تحريف الكلم عن مواضعه والتطاول على الله تعالى.

ونقول لهؤلاء الجهلة أين هذه الخيانة الزوجية؟ وهل معاشرة رسول الله ﷺ لسريته وأم ولده تعتبر عندكم خيانة زوجية والعياذ بالله؟

بالطبع لا فهى من نسائه اللاتى أحل الله له وهذا أمر معروف ولا حرج فيه وأما معاتبة أم المؤمنين حفصة لرسول الله - ﷺ - فلم تكن بسبب الخيانة كما يزعمون وإنما بسبب غيرتها عندما خلا رسول الله بأم إبراهيم فى البيت المخصص لها وكانت فى ذلك اليوم عند والدها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فالمسألة كلها تتعلق بترك رسول الله - ﷺ - للقسمة فى ذلك اليوم وكما هو واضح فهذا لم يكن عن عمد ولم يقصد به رسول الله - ﷺ - إيذاء حفصة التى كانت شديدة الغيرة عليه - عليه السلام - بدليل أنه طيب خاطرها وحرم مارية على نفسه إرضاءً لها.

وقد طلب منها - ﷺ - عدم إخبار أحد لأمر من اثنين:

١ - إما لأن رسول الله - ﷺ - لم يشأ أن تعلم عائشة فتحزن لذلك وقد كانت أقرب زوجاته إلى قلبه (صلوات الله وسلامه عليه) ذلك على الأخذ بالروايات التى أشارت إلى أن ذلك كان يومها وهذا لا حرج فيه فهذه حياته الخاصة - عليه الصلاة والسلام - وهؤلاء هن زوجاته أمهات المؤمنين.

٢ - الأمر الثانى وهو الأرجح ودلت عليه كثير من الروايات أن رسول الله ﷺ طلب من حفصة عدم إخبار أحد «بكونه سيحرم ماريا على نفسه» لأن رسول الله - ﷺ - كره ذلك وإنما فعله إرضاءً لها ولم يشأ أن يسُن ذلك لأمته فيحرم الناس على أنفسهم طيبات أحلها الله لهم فأنزل الله سورة «التحريم».

ومن الروايات التى تؤكد ذلك المعنى ما روى العوفىُّ عن ابن عباس قال:

قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان؟ قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث فى شأن أم إبراهيم مارية أصابها النبى - ﷺ - فى بيت حفصة فى نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا نبى الله لقد جئت إليَّ شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك فى يومى وعلى فراشى قال: **«أما ترضين أن أحرمها فلا أقربها»** قالت: بلى فحرمها وقال لها: **«لا تذكرى ذلك لأحد»** فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ الآيات.

كما وردت روايات أخرى عن سبب نزول هذه الأية الكريمة منها ما رواه البخارى عن عائشة قالت: كان النبى - ﷺ - يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير إنى أجد منك ريح مغافير. قال: **«ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحداً»**.

فهل طلب رسول الله - ﷺ - فى هذه الرواية من حفصة عدم إخبار أحد خشية الفضيحة أيضاً يا أصحاب العقول؟!!

ولو كانت المسألة بهذه الصورة الشوهاء التى رسمتموها فهل كانت تذكر فى قرآن يتلى على المؤمن والكافر إلى يوم القيامة ويتدارسه المؤمنون فى كل وقت وحين؟ كما قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا عن النبى - ﷺ - عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قال: فتعلمنا القرآن والعمل والعلم جميعاً)، ونحن لم نسمع مثل هذه التعليقات السخيفة من عبدة الصليب فى عهد النبى - ﷺ - وصحابته لا من يهودى ولا منافق ولا حتى صليبى وبدأت سخافاتهم تظهر فى العصور اللاحقة شأن ٩٩٪ من شبهاتهم المريضة.

أما عن ترك القسمة[1] فى ذلك اليوم فهو حالة استثنائية عارضة كما أوضحنا آنفاً وما لا يعرفه هؤلاء الجهال أن القسمة لم تكن (فريضة شرعية) فى حق رسول الله - ﷺ - حيث أن القسمة الشرعية وضعت عنه فى قوله تعالى:

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥١).

لأن عالم الغيب سبحانه قد علم أن نبيه الكريم سيبقى على القسمة حتى لو لم تكن واجبة عليه فرفع عنه ذلك التكليف حتى إذا ما قسم لهن اختياراً استبشرن به وحملن جميله فى ذلك واعترفن بمنته عليهن فى إبقائه على القسمة وقد أبقى رسول الله - ﷺ - على هذه القسمة وكان يقول:

«اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك» وظل على هذا إلى مرض موته - عليه السلام - ولم يطب فى بيت عائشة إلا بعد أن جمع أزواجه واستأذنهن فى ذلك.

والآيات فى سورة التحريم تتضمن معجزة من معجزاته - ﷺ - فى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

(التحريم: ٣).

والحديث الذى أسره النبى لزوجته حفصة هو تحريمه مارية وأكل العسل على نفسه، فلما أنبأت حفصة عائشة بذلك أطلعه الله تعالى على ما دار بينهما فأخبرها رسول الله - ﷺ - ببعض ما وقع منها وأعرض عن بعض بكرم

---

(١) والقسمة قد تكون بين الزوجات لا الإماء.

خلقه فتعجبت وقالت:

﴿ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾؟ قال - ﷺ - : ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

فما الذى يعترض عليه الحاقدون وقد قالت أم المؤمنين عائشة: (والله ما مست يد رسول الله ﷺ امرأة لا تحل له).



شبهـــة

أن رسول الله - ﷺ -

طلق سودة لأنها أسنت

الرد على الشبهة

اعترضوا بأن رسول الله - ﷺ - طلق أم المؤمنين سودة لمجرد أنها أسنت واستدلوا استدلالاً خاطئاً بما جاء فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة فكان النبى - ﷺ - يقسم لها بيوم سودة وفى صحيح البخارى عن عروة قال: لما أنزل الله فى سودة وأشباهها وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً وذلك أن سودة كانت امرأة قد أسنَّتْ ففرقت (خافت) أن يفارقها رسول الله ﷺ وضنت بمكانها منه وعرفت من حب رسول الله - ﷺ - عائشة ومنزلتها منه فوهبت يومها من رسول الله - ﷺ - لعائشة فقبل ذلك رسول الله ﷺ.

قلت بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: إن زواج رسول الله - ﷺ - من سودة - رضي الله عنها - كان من الأساس زواج رحمة ورأفة لا زواج رغبة فقد تزوجها رسول الله - ﷺ - وهى فى السادسة والستين من عمرها وكانت قد أسلمت مع زوجها وهاجرا إلى الحبشة فراراً من أذى الجاهلين من قريش ومات بعد أن عادا وكان أهلها لا يزالون على الشرك فإذا عادت إليهم فتنوها فى دينها فتزوجها رسول الله - ﷺ - لحمايتها من الفتنة ولكن بعد زمن وصلت أم المؤمنين إلى درجة من الشيخوخة يصعب معها على رسول الله ﷺ

أن يعطيها كامل حقوقها، فأراد تطليقها أيضاً رأفة بها كى لا يذرها كالمعلقة (وكى لا يأتى الجهال فى عصرنا ويقولوا أن الرسول - ﷺ - لم يكن يعدل بين أزواجه) فقالت - رضي الله عنها -: «فإنى قد كبرت ولا حاجة لى بالرجال ولكنى أريد أن أبعث بين نسائك يوم القيامة» فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

وعلمتنا هذه الآية المباركة أن إذا امرأة خافت من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تسقط عنه بعض حقوقها سواءً نفقة أو كسوة أو مبيت وله أن يقبل ذلك فلا حرج عليها فى بذلها ذلك له ولا حرج عليه فى قبوله، فراجعها رسول الله - ﷺ - وكان يحسن إليها كل الإحسان.



شبهـــة
أن رسول الله ـ ﷺ ـ طلق إحدى زوجاته لأنه وجد فيها بياضا

الرد على الشبهة

ذكر الطبراني وغيره عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ تزوج امرأة من أهل البادية فرأى بها بياضاً ففارقها قبل أن يدخل بها وكالعادة اعترض النصارى!

قلت: بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: قال رسول الله ﷺ: **«خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا أقسمت عليها أبرتك وإذا غبت حفظتك فى نفسها ومالك»** ومن هذا الحديث الشريف نجد أن من حقوق الزوج أن يتزوج امرأة يسره النظر إليها وتكون على خلق ودين، ورسول الله ـ ﷺ ـ كانت معظم زيجاته كما هو معلوم لأغراض إنسانية بحتة وهو لم يعدد الزوجات إلا بعد الخمسين ولكن هذا لا يمنع أنه كان رجلاً جميل الخلق والخَلْق وعندما تزوج هذه المرأة كان يسره النظر إليها ولكنه وجد فيها هذا العيب الجلدى الذى نفره منها نفرة شديدة وكانت قد أخفته عليه[1] فمتعها وردها إلى بيت أهلها قبل أن يمسها ولم تكتمل هذه الزيجة فما الحرج فى ذلك؟!!

(١) ومثل هذا يبيح الطلاق لما فيه من الغرر.

وعندما خطب المغيرة بن شعبة امرأة فأخبر رسول الله - ﷺ - فقال ﷺ: «اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أى يؤدم بينكما» أن تدوم بينكم المودة والعشرة وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يتزوج يرسل بعض النسوة ليتعرفن ما قد يخفى من العيوب فيقول لها «شمى فمها، شمى إبطيها...» فمن هذه الأحاديث الطيبة نجد أن رسول الله قد سنّ لنا ما إن فعلناه كان سبباً فى إستمرار المحبة والمودة وحسن المعاشرة، والإسلام دين واقعى فهو يعطى كل ذى حق حقه وهل يعقل أن يطالب إنسان بأن يستمر فى معاشرة امرأة وجد منها ما ينفره؟! أو تستمر امرأة فى معاشرة رجل وجدت منه ما ينفرها؟ الإجابة هى بالطبع لا، والحياة الزوجية فى الإسلام شعارها المعاشرة بالمعروف أو التسريح بإحسان وإن لم تقم الحياة بين الزوجين على الصدق والمودة والرضا قامت على نفاق أو إكراه!!

وهذا لا وجود له فى دين الله، فالإسلام وإن كان يحث على الصبر كما قال رسول الله - ﷺ -: **«لا يفرق مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها أخر»** إلا أن هناك أشياء قد لا يطيقها الإنسان ويشتد نفوره منها مما قد يذهب بأسس المودة وأداء الحقوق لذا فالإسلام هنا يرخص بالطلاق كما ورد فى البخارى عن ابن عباس قال: «جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله - ﷺ - فقالت: يا رسول الله: ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام (تعنى كفران العشير) فقال رسول الله ﷺ: **«أتردِّين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لثابت: اقبل الحديقة وطلقها».**

أما الحال عند النصارى فهو مأساة تشريعية بمعنى الكلمة وكثير منهم يستنجدون بالشريعة الإسلامية فالكنيسة لا تكاد تبيح الطلاق إلا فى أضيق الحدود كحال الزنا أو تغيير الدين أما الكاثوليك فلا طلاق عندهم أساساً ولكن انفصال جسدى!! وكثير من النصارى البائسين الذين لم يوفقوا فى اختيار شركاء الحياة يلجأون إلى الحيل ويغيرون مللهم ليحصلوا على حرياتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأنا أذكر هنا قصة من التراث النصرانى وهو ما حدث مع فيليب أغسطس واحد من أشهر ملوك الحملات الصليبية الذى كان قد تزوج الأميرة الدنماركية (انجبورج) ولم يشعر معها بأى سعادة فهجرها واستغرق عاماً كاملاً فى إقناع مجلس الأساقفة حتى يحصل على الطلاق ولكن البابا سلستين الثالث أبى أن يوافق على هذا، فتحدى فيليب البابا وتزوج (أنى) الميرانية فحرمه سلستين!! ولكن فيليب ظل على موقفه وقال (خير لى أن أفقد نصف أملاكى من أن أفارق أنى) وأمره أنوسنت الثالث أن يرجع انجبورج فلما رفض حرمه من كثير من حقوقه فقال فى حسرة: (ما أسعد صلاح الدين ليس فوقه بابا يتحكم فى حياته) وهدد باعتناق الإسلام وواصل كفاحه دفاعاً عن المرأة التى أحبها أربع سنوات ولكن الشعب انضم إلى الكنيسة فى الضغط عليه خوفاً من عذاب النار الذى هدد به البابا!! فطرد فيليب زوجته «أنى» ولكنه أبقى إنجبورج محبوسة فى ايتامب بعد أن قضت أفضل سنين عمرها فى هذا الجحيم وكل ذلك بسبب الفهم النصرانى المتطرف للزواج.



شبهـــة
أن قوم النبى محمد - ﷺ - زناة
وأن بعض أهله من أصحاب الجحيم

الرد على الشبهة

ما ذنب النبى محـمـد - ﷺ - أن يقع قومـه ومن أرسل إليـهم فى خطيئة الزنا أو أن يكونوا من أصحـاب الجحيم؟ مادام هو صلوات الله وسلامه عليه قد برئ من هذه الخطيئة ولاسيما فى مرحلة ما قبل النبوة، وكانت مرحلة الشباب التى يمكن أن تكون إغراء له ولأمثاله أن يقعوا فى هذه الخطيئة؛ لاسيما وأن المجتمع الجاهلى كان يشجع على ذلك وكان الزنا من الأمور العادية التى يمارسها أهل الجاهلية شباناً وشيباً أيضاً. وكان للزنا فيه بيوت قائمة يعترف المجتمع بها، وتعلق على أبوابها علامات يعرفها بها الباحثون عن الخطيئة، وتعرف بيوت البغايا باسم أصحاب الرايات.

ومع هذا الاعتراف العلنى من المجتمع الجاهلى بهذه الخطيئة، ومع أن ممارستها للشباب وحتى للشيب لم تكن مما يكره المجتمع أو يعيب من يمارسونه فإن محمداً - ﷺ - لم يقع فيها أبداً بل شهدت كل كتب السير والتواريخ له - ﷺ - بالطهارة والعفة وغيرهما من الفضائل الشخصية التى يزدان بها الرجال وتحسب فى موازين تقويمهم وتقديرهم، وأرسله الله سبحانه ليغير هذا المنكر.

هذه واحدة.

والثانية: أن الرسالة التى دعا بها ودعا إليها محمد - ﷺ - حرّمت الزنا تحريماً قاطعاً وحملت آياتها فى القرآن الكريم عقاباً شديداً للزانى والزانية يبدأ بعقوبة بدنية هى أن يجلد كل منهما مائة جلدة قاسية يتم تنفيذها علناً بحيث يشهدها الناس لتكون عبرة وزجراً لهم عن التورط فيها.

كما تقول الآية الكريمة: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

فإذا كان الزانيان محصنين أى كل منهما متزوج[٢] ارتفعت العقوبة إلى حدّ الإعدام رمياً بالحجارة حتى الموت.

ولا تقف العقوبة عند ذلك بل نرى أن رسالة محمد - ﷺ - تضع من يمارسون هذه الخطيئة فى مرتبة دونية من البشر حتى لكأنهم صنف منحط وشاذ عن بقية الأطهار الأسوياء فتقول الآية الكريمة عنهم: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

من الذى يحمل المسئولية عن الخطيئة؟

فإذا كان محمد - ﷺ - قد طهر من هذه الخطيئة فى المجتمع الذى كان يراها عادية ومألوفة، ثم كانت رسالته - ﷺ - تحرمها التحريم القاطع والصريح، وتضع مرتكبيها فى مرتبة الانحطاط والشذوذ عن الأسوياء من البشر...

فلمَ يُعيَّر محمد - ﷺ - بأن بعض قومه زناة؟ وهل يصح فى منطق العقلاء أن يعيبوا إنساناً بما فى غيره من هذه العيوب؟ وأن يحملوه أوزار الآخرين وخطاياهم؟.

---

(١) النور: ٢.

(٢) أو كان متزوجاً.

(٣) النور: ٣.

وهنا يكون للمسألة وجه آخر يجب التنويه إليه وهو خاص بالمسئولية عن الخطيئة أهى فردية خاصة بمن يرتكبونها؟ أم أن آخرين يمكن أن يحملوها نيابة عنهم ويؤدون كفارتها؟!

إن الإسلام يمتاز بأمرين مهمين:

أولهما: أن الخطيئة فردية يتحمل من وقع فيها وحده عقوبتها ولا يجوز أن يحملها عنه أو حتى يشاركه فى حملها غيره وصريح آيات القرآن يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[1]. ثم ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]. وورد هذا النص فى آيات كثيرة.

أما الأمر الثانى: فيما أقره الإسلام فى مسألة الخطيئة فهو أنها لا تورث، ولا تنقل من مخطئ ليتحمل عنه وزره آخر حتى ولو بين الآباء وأبنائهم وفى هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[3].

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾[4].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[5].

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾[6].

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[7].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[8].

وغير هذا كثير مما يؤكد ما أقرَّه الإسلام من أن الخطايا فردية وأنها لا تورث ولا يجزى فيها والد عن ولده، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً.

وما دام الأمر كذلك، فلِمَ يُلام محمد - ﷺ - ولا يعاب شخصه أو تعاب رسالته

---

(١) البقرة: ٢٨٦.
(٢) الأنعام: ١٦٤.
(٣) البقرة: ٤٨.
(٤) يونس: ٣٠.
(٥) إبراهيم: ٥١.
(٦) النحل: ١١١.
(٧) الجاثية: ٢٢.
(٨) المدثر: ٣٨.

بأن بعض أهله أو حتى كلهم زناة مارسوا الخطيئة التى كان يعترف بها مجتمعه ولا يجزى فيها شيئاً أو ينقص الشرف والمروءة أو يعاب بها عندهم من يمارسها.

وحسب محمد - ﷺ - أنه لم يقع أبداً فى هذه الخطيئة لا قبل زواجه ولا بعده، ثم كانت رسالته دعوة كبرى إلى التعفف والتطهر وإلى تصريف الشهوة البشرية فى المصرف الحلال الذى حض الإسلام عليه وهو النكاح الشرعى الحلال، ودعا المسلمين إلى عدم المغالاة فى المهور تيسيراً على الراغبين فى الحلال، حتى كان الرسول - ﷺ - يزوج الرجل بأقل وأيسر ما يملك من المال، وأثر عنه - ﷺ - أن شاباً جاءه يرغب إليه فى الزواج وما كان معه ما يفى بالمراد فقال له ﷺ: **«التمس ولو خاتماً من حديد»**(1).

أكثر من هذا أنه - ﷺ - كان يزوج بعض الصحابة بما يحفظ من القرآن الكريم.

لهذا لم تقع خطايا الزنا فى المجتمع فى العهد النبوى كله إلا فى ندرة نادرة، ربما لأن الحق سبحانه شاء أن تقع وأن يقام فيها الحد الشرعى ليسترشد بها المجتمع فى مستقبل الأيام؛ كتشريع تم تطبيقه فى حالات محددة يكون هادياً ودليلاً فى القضاء والحكم.

هذا عن اتهام محمد - ﷺ - بأن أهله زناة وهو كما أوضحنا اتهام متهافت لا يقلل من مقام النبوة ولا يرتقى إلى أقدام صاحبها، وقد أتينا عليه بما تستريح إليه ضمائر العقلاء وبصائر ذوى القلوب النقية.

أما عن اتهامه - ﷺ - بأن أهله من أصحاب الجحيم، فهى شهادة لجلال التشريع الذى أنزله الحق - على محمد فأكمل به الدين وأتم به النعمة.

بل إن ما يعيبون به محمداً - ﷺ - من أن أهله من أصحاب الجحيم ليس أبداً عيباً فى منطق العقلاء ذوى النصفة والرشد؛ بل إنه وسام تكريم لمحمد ﷺ ولرسالته الكاملة والخاتمة فى أن التشريع الذى نزلت به سوَّى بين من هم أقرباء محمد - ﷺ - وبين من هم غرباء عنه فى جميع الأحكام ثواباً وعقوبة.

---

(1) رواه البخارى «كتاب النكاح».

بل إن التشريع الذى نزل على محمد - ﷺ - نص صراحة على التزام العدل خاصة حين يكون أحد أطرافه ذا قربى فقال القرآن: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[١]. وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[٢].

أما فى السنة النبوية فحديث المرأة المخزومية - من بنى مخزوم ذوى الشرف والمكانة - التى ارتكبت جريمة السرقة وهى جريمة عقوبتها حد السرقة وهو قطع يد السارق كما تنص عليه آيات القرآن، وشغل بأمرها مجتمع المدينة لئلا يطبق عليها الحد فتقطع يدها وهى ذات الشرف والمكانة فسعوا لدى أسامة بن زيد - حِب رسول الله ﷺ - أن يشفع لها لدى رسول الله - ﷺ - فكلم رسول الله - ﷺ - فقال: **«أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضَلَّ من كن قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»**[٣].

وعليه فكون بعض آل محمد وذوى قرباه من أصحاب الجحيم كأبى لهب عمه الذى نزلت فيه سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٤] وغيره ممن كان نصيراً لهم مع بقائه على شركه..

كون هؤلاء من أصحاب الجحيم لأنهم بقوا على شركهم ولم تنفعهم قرابتهم لمحمد - ﷺ - هو فى الواقع شهادة تقدير تعطى لمحمد ورسالته التى سوَّت فى العدل بين القريب وبين الغريب، ولم تجعل لعامل القرابة أدنى تأثير فى الانحياز ضد الحق لصالح القريب على الغريب. وما قاله المبطلون هو فى الحق وسام وليس باتهام.

وصلى الله وسلم على النبى العظيم.

---

(١) التوبة: ١١٣. (٢) الأنعام: ١٥٢. (٤) المسد: ١.

(٣) رواه البخارى «كتاب أحاديث الأنبياء» وحاشا لليد الشريفة للمرأة الشريفة أن تقطع وقد استعمل رسول الله - ﷺ - (لو) حرف امتناع لامتناع إذ امتنع قطع اليد لامتناع السرقة.

شبهـــة
يحتاج محمد - ﷺ - إلى الصلاة عليه

الرد على الشبهة

الحق أن الصلاة على محمد - ﷺ - من ربه ومن المؤمنين ليست دليل حاجة بل هى مظهر تكريم واعتزاز وتقدير له من الحق سبحانه وتقدير له من أتباعه، وليست كما يزعم الظالمون لسد حاجته عند ربه، لأن ربه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

لأن أى مقارنة منصفة بين ما كان عليه - ﷺ - وبين غيره من أنبياء الله ورسله ترتفع به ليس فقط إلى مقام العصمة؛ بل إلى مقام الكمال الذى أتم به الله الرسالات، وأتم به التنزيل، وأتم به النعمة، فلم تعد البشرية بعد رسالته - ﷺ - بحاجة إلى رسل ورسالات.

لذلك فإن رسالته - ﷺ - وهى الخاتمة والكاملة حملت كل احتياجات البشرية وما يلزمها من تشريعات ونظم ومعاملات وما ينبغى أن تكون عليه من أخلاق وحضارة مما افتقدت مثل كماله كل الرسالات السابقة.

وحسب رسالة محمد - ﷺ - أنها جاءت رحمة عامة للبشرية كلها كما قال القرآن: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١). فلم تكن كما جاء من قبلها رسالة خاصة بقوم رسولهم كما قال تعالى:

(١) الأنبياء: ١٠٧.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾(١).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾(٢).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾(٣).

وهكذا كل رسول كان مرسلاً إلى قومه..

لقد كانت رسالة محمد - ﷺ - إلى العالمين وإلى الناس كافة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٤)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٥).

ورسالة محمد - ﷺ - كانت فوق كونها عالمية فقد كانت هي الخاتمة والكاملة التي - كما أشرنا - تفي باحتياجات البشر جميعاً وتقوم بتقنين وتنظيم شئونهم المادية والمعنوية عبر الزمان والمكان بكل ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

وفي هذا قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٦).

وقال في وصفه لإكمال الدين برسالة محمد - ﷺ - (الإسلام): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾(٧).

إن عموم رسالة محمد إلى العالمين، وباعتبارها الرسالة الكاملة والخاتمة؛ يعني امتداد دورها واستمرار وجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(٨).

---

(١) الأعراف: ٦٥.
(٢) الأعراف: ٧٢.
(٣) الأعراف: ٨٥.
(٤) الأنبياء: ١٠٧.
(٥) سبأ: ٢٨.
(٦) الأحزاب: ٤٠.
(٧) المائدة: ٣.
(٨) التوبة: ٣٣ - الفتح: ٢٨ - والصف: ٦.

شبهـة
ولادة النبى محمد ـ ﷺ ـ عادية

الرد على الشبهة

لأن ولادة السـيـد المسيح ـ عليه السلام ـ تمت على هبـة من الله تبـارك وتعـالى للسيدة العذراء مريم ـ عليها السلام ـ وليس من خلال الزواج بينها وبين رجل. فبعض أهل الكتاب (النصارى منهم خاصـة) يتصـورون أن كل نبى لابد أن يولد بمثل هذه الطريقة.

وإذا كانت ولادة مـحـمـد ـ ﷺ ـ مثل غيـره من مـلايين خلق الله فإن هذا عندهم مما يعيبونه به ـ ﷺ ـ ويطعنون فى صحة نبوته.

١ ـ فلم يـدركـوا أن بشـرية مـحـمـد ـ ﷺ ـ هى واحـدة من القـسـمـات التى شـاركه فيـها كل رسل الله تعـالى منذ نوح وإبراهيم وغيـرهما من بقيـة رسل الله إلى موسى ـ عليه السلام وعلى رسل الله كافة ـ الذين ولدوا جميعاً من الزواج بين رجل وامـرأة. ولم يولد من غيـر الزواج بين امـرأة ورجل إلا عيسى ـ عليه السلام ـ وكـان هذا خصوصية له لم تحدث مع أى نبى قبله[1]، ولم تحدث كذلك مع محمد ـ ﷺ.

٢ ـ كـانت ولادة محـمـد ـ ﷺ ـ إعلاناً لكونـه بشـراً من البـشـر يولد كمـا يولد البـشر ويجـرى عليه من الأحـوال فى أكله وشـربه، وفى نومه وصـحـوه، وفى رضـاه وغضبه وغير ذلك مما يجرى على البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضاً.

---

(١) إلا أنه تعالى خلق آدم ـ عليه السلام ـ بيديه وخلق حواء من آدم عليها السلام.

٣ ـ كان محمد ـ ﷺ ـ يعتز بهذه البشرية ويراها سبيله إلى فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها، وقد اعتبر القرآن ذلك ميزة له فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

كما أعلن محمد ـ ﷺ ـ اعتزازه بهذه البشرية وعجزها حين أعلن قومه أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا فجر لهم ينابيع الماء من الأرض، أو أن يكون له بيت من زخرف، أو أن يروه يرقى فى السماء وينزل عليهم كتاباً يقرأونه، فكان ـ ﷺ ـ أمره من ربه تعالى كما حكاه القرآن: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾(٢).

٤ ـ لقد قرر القرآن قاعدة كون الرسل من جنس من يرسلون إليهم؛ بمعنى أن يكون المرسلون إلى الناس بشراً من جنسهم، ولو كان أهل الأرض من جنس غير البشر لكانت رسل الله إليهم من نفس جنسهم وذلك فى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾(٣).

وعلى المعنى نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾(٤). وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾(٥). وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٦). وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾(٧). وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾(٨).

وغير هذا كثير مما أكده القرآن وهو المنطق والحكمة التى اقتضتها مشيئته ـ تعالى ـ لما هو من خصائص الرسالات التى توجب أن يكون المرسل

---

(١) التوبة: ١٢٨.
(٢) الإسراء: ٩٣.
(٣) الإسراء: ٩٥.
(٤) البقرة: ١٩٥
(٥) البقرة: ١٥١.
(٦) آل عمران: ١٦٤.
(٧) المؤمنون: ٣٢.
(٨) الجمعة: ٢.

إلى الناس من جنسهم حتى يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتى يستأنسوا به ويفهموا عنه.

ومن هنا تكون «بشرية الرسول» بمعنى أن يجرى عليه ما يجرى على الناس من البلاء والموت ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعى لنجاح البلاغ عن الله.



شبهـة

تعلُّم محمد ـ ﷺ ـ من غيره

الرد على الشبهة

وهى من أسوأ المفتريات على محمد ـ ﷺ ـ الذى قال ربه عز وجل عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(١).

لكن الحقد حين يتمكن من قلوب الحاقدين يدفعهم إلى المنكر من القول ومن الزور، حتى إنهم ليتجرأون على قولٍ لا يقبله عقل عاقل، ولا يجرؤ على مثله إلا المفترون.

فى هذه المقولة زعموا أنه حين كان ينزل عليه الوحى بالآيات التى أثبت العلم الحديث المعاصر أنها من أبرز آيات الإعجاز العلمى فى القرآن فيما تتصل بمراحل خلق الإنسان من سلالة من طين ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلقة ثم يكون إنشاؤه خلقاً آخر..

زعموا أن كاتب وحيه قال مادحاً مَن هذا خلقه: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٢).

ثم أفرطوا فى زعمهم فقالوا إن محمداً ـ ﷺ ـ قال له: اكتبها فهكذا نزلت علىَّ..؟! وهنا لابد من وقفة:

فأولاً: مما هو ثابت أن الرسول ـ ﷺ ـ كان إذا نزل عليه الوحى يأخذ

(١) النجم: ٣ ـ ٤.
(٢) المؤمنون: ١٤.

العرق يتصبب من جسده ويكون فى غيبة عمن حوله.. فإذا انقضى الوحى أخذ فى ذكر وتلاوة ما نزل عليه من القرآن، وهذا ما تقرره كل كتب السيرة.

ثانياً: معنى ما سبق أنه - ﷺ - لا يأخذ فى الإملاء على كاتب وحيه إلا بعد اكتمال نزول الوحى واكتمال نزول الآيات المتعلقة بمراحل خلق الإنسان من سورة «المؤمنون».

ثالثاً: وبهذا يتضح كذب القول أن كاتب وحيه - ﷺ - هو الذى أملاها عليه وأنه أمر بإثباتها.

رابعاً: أن لفظة «تبارك الله» تكررت فى القرآن الكريم تسع مرات، تلتقى جميعها فى مواضع يكون الحديث فيها عن قدرة الخالق فيما خلق من مثل قوله تعالى:

﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾(٢).

﴿تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾(٣).

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾(٤).

﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥).

فلماذا تعلم محمد - ﷺ - من كاتب وحيه آية «المؤمنون» دون غيرها مما جاء فى بقية السور؟!!



(١) الأعراف: ٥٥.　　(٢) الفرقان: ١.

(٣) الفرقان: ٦١.　　(٤) الزخرف: ٨٥.

(٥) الملك: ١.

شبهــة
محمد - ﷺ - أميّ فكيف علّم القرآن؟

الرد على الشبهة

والأُمّى إمــا أن يكون المراد به من لا يعــرف القــراءة والكتــابة أخــذاً من «الأمية»، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذاً من «الأممية» حسب المصطلح اليهودى الذى يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فـإذا تعـاملنا مع هذه المقـولة علمنا أن المراد بهـا من لا يعـرف القـراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول، بل لعله أن يكون تأكيداً ودليلاً قوياً على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحى أوحى إليه من الله لم يقرأه فى كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه ﷺ.

وقد رد القرآن على هذه المقولة ردا صريحاً فى قوله:

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

وحسب النبى الأمى الذى لا يعـرف القـراءة ولا الكتـابة أن يكون الكتـاب الذى أنزل عليـه معـجـزاً لمشـركى العـرب وهم أهـل الفـصاحـة والبـلاغـة؛ بل ومتحدّياً أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله.

---
(١) الفرقان: ٥ ـ ٦.

كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به ـ كما قال بعض كبارهم ـ «ليس من سجع الكهان ولا من الشعر ولا من قول البشر».

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد ـ ﷺ ـ أنه «أُمِّيٌّ» على معنى أنه من الأمميين ـ أى من غير اليهود ـ فما هذا مما يعيبه. بل إنه لشرف له أنه من الأممين أى أنه من غير اليهود.

ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالى على من عداهم من «الأمميين» واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار ـ كما يزعمون.

كل هذا مما يتنافى تماماً مع ما جاء به محمد ـ ﷺ ـ من المساواة الكاملة بين بنى البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن؛ الذى اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو لمجرد التعارف والتمايز؛ لكنه ـ أبداً ـ لا يعطى تميزاً لجنس على جنس، فليس فى الإسلام ـ كما يزعم اليهود ـ أنهم شعب الله المختار.

ولكن التمايز والتكريم فى منظور الإسلام؛ إنما هو بالتقوى والصلاح كما فى الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١).



(١) الحجرات: ١٣.

شبهة
قتال محمد - ﷺ - فى الشهر الحرام

الرد على الشبهة

يذكرون أن الشبهة ما ورد فى آيات سورة البقرة:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(١).

والمسلمون جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد - ﷺ - هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها واعتبار القتال فيها حدثاً كبيراً أو كأنه كبيرة من الكبائر.

لكن ما الذى يفعله المسلمون إذا ما واجهوا قتالاً من أعدائهم من المشركين وعدواناً. على الأنفس والأموال والأعراض، ليس هذا فحسب بل ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وهم أولى به من غيرهم؟!

إن قانون «الدفع الحضارى» الذى يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارى واليهود أيضاً، والذى عبرت عنه الآيتان الكريمتان: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ**

(١) البقرة: ٢١٧.

لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[1]. وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]. هذا القانون القرآنى ـ وليس قانون «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» هو وحده الذى يحمى الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين.

وذلك على أساس أن يمكن الله لهم فى الأرض بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم يجب ـ وبحسب القانون القرآنى ـ أن يكونوا صالحين وأخياراً؛ بمعنى: أن يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم لا فى الطغيان والتجبر ولكن فى حماية القيم النبيلة التى تحمى بها العدل والحق وتمكن لكل ما هو خير، وتنفى كل ما هو شر حتى تنعم البشرية بالأمن والاستقرار، وتعتدل أمور الحياة والناس.

وهذا ما جاءت الآية التالية للآيتين السابقتين لتقره حيث يقول: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[3].

ولأن إقرار حقوق عباد الله فى أرض الله وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم فقد أبيح القتال فيها لمن ظلموا من المسلمين ومن فُتنوا فى دينهم وأخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً.

وهذا ما تقرره الآية: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[4].

(١) البقرة: ٢٥١. (٢) الحج: ٤٠.

(٣) الحج: ٤١.

(٤) البقرة: ٢١٧.

شبهـــة
كاد محمد - ﷺ - أن يُفتن

الرد على الشبهة

أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[١].

بعض ما قيل فى سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول - ﷺ - أجّلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا من (الأصنام) فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا، فهمّ - ﷺ - بقبول ذلك فنزلت الآية.

قوله تعالى: ﴿كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ أى هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضوه عليك لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة، ولو فعلت لعذبناك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات؛ يعنى: قاربت أن تستجيب لما عرضوه لكنك بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك.

وكل مَنْ هُمّ، على مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن «الهمّ» أى المقاربة لشىء دون القيام به أو الوقوع فيه لا يعتبر معصية ولا جزاء عليه وهو مما وضع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبى ﷺ قوله:

«وضع عن أمتى ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به»، وعليه... فإنه لا إثم ولا شىء يؤخذ على محمد - ﷺ - فى ذلك[٢].

---

(١) الإسراء: ٧٣ - ٧٥.

(٢) واقرأ قوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾.

شبهـة

ماتت فاضطجع معها!!

الرد على الشبهة

يثير بعض أهل الكتاب شبهاً كثيرة الهدف منها التلبيس على المسلم أمور دينه، بالطعن فى ديننا الحنيف الذى يثبت كفرهم بصريح العبارة، والطعن فى نبينا صلوات الله وسلامه عليه، والطعن فى أصحابه أهل الجنة الذين أقاموا الدين ونصروا الله ورسوله، وليس هدف هؤلاء تبشيراً بنصرانيتهم أو دعوة لعقيدتهم التى اثبت على مر العصور فسادها من قبل مئات بل الآلاف من العلماء ومن بعض علمائهم أيضاً، بل فقط هدفهم إخراج المسلم من دينه.

ولقد نحى نفس المنحى قبلهم كثير من المستشرقين فى أزمنة متعددة قريبة، وكثير من الزنادقة فى أزمنة سابقة، ولكن بعصرنا هذا حققت لهم التقنية الحديثة نوعاً من الأمان حيث يتخفون وراء الأجهزة للطعن بأمان من أن يقام عليهم حد أو يقتص منهم، وهذا هو ديدنهم كما وصفهم كتاب ربنا عز وجل: ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ (الحشر: ١٤)، والجدر الحديثة الآن هى التقنية التى يتخفون وراءها، فهم أجبن من المواجهة وأضعف حجة فى المشافهة.

وهدفنا هنا هو بيان الحق والصدق للمسلم حتى يكون على يقين أن الله تعالى اختار خير البشر لرسالته وخير الصحبة وخير جيل لصحبة رسوله ثم استخلف رسالته لخير الأمم طالما تمسكوا بما كان عليه رسوله ﷺ.

يثير بعض أهل الكتاب قصة من السيرة بفهم مختلق مكذوب، لا يوافق لغة ولا فهماً ولا عرفاً ولا عقلاً، ولكن فقط يناسب كفراً بقلوبهم وزندقة وفسقاً استقوه وضعوه فى كتابهم.

يقول بعض أهل الكتاب: (إن رسول الله - بأبى هو وأمى - مارس الجنس مع فاطمة بنت أسد وهى ميتة) وهم كعادتهم يسوقون أحداثاً حقيقية بتحريف يناسب ما جبلهم كتابهم عليه، ولنبدأ فى المقصود بعون الله.

الرواية التى يستند إليها النصارى فى قولهم

عن ابن عباس قال: (لما ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها فى قبرها فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها) (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر).

عن ابن عباس قال: (لما ماتت أم على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم وكانت ممن كفل النبى - ﷺ - وربته بعد موت عبد المطلب، كفنها النبى - ﷺ - فى قميصه، وصلى عليها واستغفر لها وجزاها الخير بما وليته منه، واضطجع معها فى قبرها حين وضعت فقيل له: صنعت يا رسول الله بها صنعاً لم تصنع بأحد! قال: إنما كفنتها فى قميصى ليدخلها الله الرحمة ويغفر لها، واضطجعت فى قبرها ليخفف الله عنها بذلك) (كنز العمال).

المعنى اللغوى لكلمة اضطجع:

ضجع: أصل بناء الفعل من الاضطجاع، ضجع يضجع ضجعاً وضجوعاً، فهو ضاجاع، وقلما يستعمل، والافتعال منه اضطجع يضطجع اضطجاعاً، فهو مضطجع، واضطجع: نام. وقيل: استلقى ووضع جنبه بالأرض.

واضجعت فلاناً إذا وضعت جنبه بالأرض، وضجع وهو يضجع نفسه؛ وجل

ضجعة مثال همزة: يكثر الاضطجاع كسلان.

والضجعة: هيئة الاضطجاع.

والمضاجع: جمع المضجع، قال الله عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (السجدة: ١٦)؛ أى: تتجافى عن مضاجعها التى اضطجعت فيها.

والاضطجاع فى السجود: أن يتضامَّ ويلصق صدره بالأرض، وإذا قالوا: صلى مضطجعاً فمعناه: أن يضطجع على شقه الأيمن مستقبلاً القبلة.

وفى الحديث: (كانت ضجعة رسول الله - ﷺ - أدماً حشوها ليف).

الضجعة، بالكسر: من الاضطجاع وهو النوم كالجلسة من الجلوس، وبفتحها المرة الواحدة.

والمراد ما كان يضطجع عليه، فيكون فى الكلام مضاف محذوف تقديره: كانت ذاتُ ضجعته أو ذات اضطجاعه فراش أدم حشوها ليف.

وكل شىء تخفضه، فقد أضجعته.

والتضجيع فى الأمر: التقصير فيه.

وضجع فى أمره واضطجع وأضجع: وهن.

(لسان العرب لابن منظور)

فيفهم مما سبق أن المعنى العام للاضطجاع هو النوم أو الاستلقاء على الجنب.

الفهم الأعوج للاضطجاع:

وليتبين لنا من أين أتى أهل الكتاب بعوج الفهم (هذا بعد المرض الذى بقلوبهم) ليتم لنا ذلك نعرض هنا معنى الاضطجاع بكتابهم الذى ملأوه بالدنس:

التكوين ١٩ ـ ٣٦ ـ ٣٠:

٣٢ هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيى من أبينا نسلاً. ٣٣ فأسقت أباهما خمراً فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. ٣٤ وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه. فنحيى من أبينا نسلاً. ٣٥ فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. ٣٦ فحبلت ابنتا لوط من أبيهما.

التكوين ١٠ ـ ٢٦:

فقال ابيمالك ما هذا الذى صنعت بنا. لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنباً.

تكوين: ١٦: ٣٠:

فلما أتى يعقوب من الحقل فى المساء خرجت ليئة لملاقاته وقالت إلىّ تجىء لأنى قد استأجرتك بلقاح ابنى. فاضطجع معها تلك الليلة.

تكوين ٢: ٣٤:

فرآها شكيم ابن حمور الحوّى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلّها.

تكوين ٢٢: ٣٥:

وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً فى تلك الأرض أن راوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرّية أبيه. وسمع إسرائيل وكان بنو يعقوب اثنى عشر.

تكوين ٧: ٣٩:

وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت اضطجع معى.

خروج ١٦: ٢٢

وإذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفسه زوجة.

إذن الاضطجاع لديهم هو الزنا، وهذا فهم معوج مناسب لعموم كتابهم، وعلى الرغم من أن نصارى العرب يتحدثون العربية ولكن (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) فصرفوا الكلمة عن معناها المتعارف عليه إلى المعنى البعيد والمناسب لهدفهم.

التقط بعض أهل الكتاب ما سأورده الآن لعرضه بفهم كتابهم الملىء بالزنا والدعارة كشبهة على عوام المسلمين، وما أتوا إلا من جهلهم باللغة العربية (سقت لك سابقاً معنى اضطجع) وعلة كتابهم الذى كتبوه بأيديهم - الزنا والدعارة والفجور - والتى أخرجت كتابهم عن وقار المحترم من الكتب فضلاً عن القداسة تلك العلة التى تؤرقهم ليل نهار، فرموا غيرهم بما فيهم كقول الشاعر:

رمـــــــتنى بدائهـــــا وانسلت

تفسير الروايات بعضها البعض:

يفهم كل مسلم وكل عاقل أن المعنى يؤخذ من جمع الروايات ببعضها، وسأسوق لك هنا ما ورد فى قصة وفاة فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها - لتتبين مدى كذب وحقد هؤلاء، ولن أطيل عليك بذكر السند ولكن فقط المتن:

١ - أن رسول الله - ﷺ - كفَّن فاطمة بنت أسد فى قميصه واضطجع فى قبرها وجزَّاها خيراً. وروى عن ابن عباس نحو هذا وزاد فقالوا: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه! قال: «إنه لم يكن بعد أبى طالب أبرّا قاله ابن حبيب. منها إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت فى قبرها ليهون عليها عذاب القبر» (أُسد الغابة[1] لابن الأثير).

(١) كتاب أُسد الغابة فى معرفة الصحابة.

التقط بعض أهل الكتاب لفظة اضطجع وفسروها تفسير كتابهم بالزنا اعتماداً على الرواية التى جاءت بلفظ «اضطجع معها» ومعنى النص فى هذه الرواية اضطجع بقبرها كما هو واضح بالرواية الأولى، وكعادتهم تحريف الكلم عن مواضعه ولم يكملوا قراءة بقية الروايات والتى تفسر بعضها البعض.

فلقد كفنها - ﷺ - بقميصه = لتكسى من حلل الجنة.

اضطجع فى قبرها = ليهون عليها عذاب القبر.

٢ - **عن الزبير بن سعيد القرشى قال:** (كنا جلوساً عند سعيد بن المسيب، فمر بنا على بن الحسين، ولم أر هاشميا قط كان أعبد لله منه، فقام إليه سعيد بن المسيب، وقمنا معه، فسلمنا عليه، فرد علينا، فقال له سعيد: يا أبا محمد، أخبرنا عن فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب - رضى الله تعالى عنهما - قال: نعم، حدثنى أبى قال: سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول:

لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، كفنها رسول الله - ﷺ - فى قميصه، وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل فى قبرها، فجعل يومى فى نواحى القبر كأنه يوسعه، ويسوى عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وحثا فى قبرها. فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه -: يا رسول الله، رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال: «يا عمر إن هذه المرأة كانت أمى التى ولدتنى. إن أبا طالب كان يصنع الصنيع، وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً، فأعود فيه.

وإن جبريل - عليه السلام - أخبرنى عن ربى - عز وجل - أنها من أهل الجنة. وأخبرنى جبريل - عليه السلام - أن الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها» المستدرك على الصحيحين للحاكم.

٣ - عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه

عن جده: (أن رسول الله - ﷺ - دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طاب بالروحاء مقابل حمام أبى قطيفة) (مقاتل الطالبيين للأصفهانى).

٤ - يوم ماتت صلى النبى - ﷺ - عليها، وتمرغ فى قبرها، وبكى، وقال: **«جزاك الله من أم خيراً، فقد كنت خير أمّ»** (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر).

فهل يفهم من الروايات السابقة ما ذهب إليه بعض أهل الكتاب؟؟

نبذة تعريفية بفاطمة بنت أسد رضي الله عنها:

نسوق للمسلمين تعريفاً بسيطاً بمن هى فاطمة بنت أسد، فمن هى فاطمة بنت أسد؟؟

هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم على بن أبى طالب وإخوته قيل إنها ماتت قبل الهجرة وليس بشىء من الصواب بل إنها هاجرت إلى المدينة وبها ماتت.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال: حدثنا أبو محمد إسماعيل بن على الحليمى قال: حدثنا محمد بن عبدوس قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَيْر قال: حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن الشعبى قال: أم على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد ابن هاشم أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت بها. قال الزبير: هى أول هاشمية ولدت لهاشمى هاشمياً. قال: وقد أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله وماتت بالمدينة فى حياة النبى - ﷺ - وشهدها رسول الله. (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر).

وكانت فاطمة بنت أسد زوج أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى فولدت له طالبا وعقيلاً وجعفراً وعليّاً وأم هانئ وجمانة وريطة بنى أبى طالب وأسلمت فاطمة بنت أسد وكانت امرأة صالحة وكان رسول الله - ﷺ - يزورها ويقيل فى بيتها (أى ينام القيلولة وهى نومة الظهر) (الطبقات الكبرى لابن سعد).

قال محمد بن عمر: وهو الثبت عندنا. وأم على - كرم الله وجهه - فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف، وأسلمت قديماً، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى، وهى ربت النبى - ﷺ - وولدت لأبى طالب عقيلاً، وجعفر، وعليّاً، وأم هانئ، واسمها فاختة، وحمامة، وكان عقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسنّ من على بعشر سنين، وجعفر هو ذو الهجرتين، وذو الجناحين (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر).

وروى الأعمش عن عَمْرو بن مُرَّة عن أبى البخترى عن على قال: قلت لأمى فاطمة بنت أسد: اكفى فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - سقاية الماء والذهاب فى الحاجة وتكفيك الداخل: الطحن والعجن. وهذا يدل على هجرتها لأن عليّاً إنما تزوج فاطمة بالمدينة. (أسد الغابة لابن الأثير).

عن أبى هريرة، وكان جعفر بن أبى طالب الثالث من ولد أبيه وكان طالب أكبرهم سناً ويليه عقيل ويلى عقيلاً جعفر ويلى جعفراً على، وكل واحد منهم أكثر من صاحبه بعشر سنين وعلى أصغرهم سنّاً... وأمهم جميعاً فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (مقاتل الطالبيين الأصفهانى).

عن جرير سمعت النبى - ﷺ - يدعو النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ **(الممتحنة: ١٢)**، وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله. (مقاتل الطالبيين الأصفهانى).



شبهة
كشف خديجة - رضي الله عنها - للوحى

الرد على الشبهة

للرد على هذه الشبهة، نورد لكم هذه الرواية أولاً من سيرة ابن هشام وهى من طريقتين، ثم نقوم بمشيئة الله تعالى بتفنيد مزاعمهم وثم نبين ضعف هذه الرواية وسقوطها وبالله تعالى نستعين.

وإليك الرواية:

الطريقة الأولى

قال ابن إسحاق: وحدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير: أنه حدث عن خديجة - رضي الله عنها - أنها قالت لرسول الله - ﷺ -: أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به. فجاءه جبريل - عليه السلام - كما كان يصنع فقال رسول الله - ﷺ - لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى؛ قال: فقام رسول الله - ﷺ - فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم قالت فتحول فاجلس على فخذى اليمنى؛ قالت: فتحول رسول الله - ﷺ - فجلس على فخذها اليمنى، فقالت هل تراه؟ قال نعم. قالت: فتحول فاجلس فى حجر، قالت: فتحول رسول الله - ﷺ - فجلس فى حجرها. قالت: هل تراه؟ قال: نعم قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله - ﷺ - جالس

فى حجرها، ثم قالت له هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

الطريقة الأخرى

قال ابن إسحاق: وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة أنا سمعتها تقول أدخلت رسول الله - ﷺ - بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله - ﷺ - إن هذا لملك وما هو بشيطان (انتهى).

نقول وبالله تعالى التوفيق،،،

على فرض صحة هذه الرواية، لم يرد فيها أن النبى - عليه السلام - لم يعرف الوحى الذى أنزل عليه، وليس فيها أنه طلب من خديجة أن تتأكد له من الوحى، وهذا يرجع عندهم إلى التعصب الأعمى الذى يقودهم إلى اختلاق الأكاذيب أو أنهم لا يفقهون ما يقرأون ويرددون كلام المستشرقين كطائر الببغاء، وكل ما فى الرواية أن خديجة - رضي الله عنها - هى التى طلبت التأكد وليس النبى - عليه السلام -.... فتأمل!!

ونحن لسنا بحاجة إلى هذا التبرير لأن الرواية ضعيفة، ولكن أردنا أن نبين على فرض صحتها مدى تفكيرهم السقيم وحقدهم على البشير النذير.

وإليك الآن عزيزى القارئ ضعف هذه القصة:

الطريقة الأولى

فيها انقطاع، لأن إسماعيل بن أبى حكيم لم يسمع من خديجة رضي الله عنها، وقال: إنه حدِّث عن خديجة (بضم الحاء وكسر الدال)[1] ولم يذكر من حدثه عنها، وهذا كاف لإبطال هذه الطريق ولله الحمد.

(١) يقصد أن الفعل مبنى للمجهول أى أن أحداً حدثه ولم يذكر هذا الأحد.

الطريقة الأخرى

وهى عن فاطمة بنت حسين عن خديجة، وفاطمة هى بنت الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم، وهى تابعية ولدت بعد وفاة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة، ففاطمة على هذا لم تسمع من خديجة، فيصبح الحديث من المراسيل وهذا أيضاً كاف لتضعيف هذه الطريق، وحتى الحسين - رضي الله عنه - لم ير خديجة لأنها توفيت - رضي الله عنها - قبل الهجرة بثلاث سنين، والحسين ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة أى بعد وفاتها بسبع سنين، فإذا كان أبوها لم يسمع من خديجة، فكيف بابنته فاطمة؟ رضى الله عنهم جميعاً،،،،، فتأمل!!!



شبهــة
رسول الله - ﷺ - يستقبل زائريه
وهو لابس مرط عائشة

الرد على الشبهة

حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد حدثنى أبى عن جدى حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبى وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله وهو مضطجع على فراش لابس مرط عائشة فأذن لأبى بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعى عليك ثيابك فقضى إلى حاجتى ثم انصرفت فقالت عائشة يا رسول الله مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر كما فزعت لعثمان قال رسول الله إن عثمان رجل حيى وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلى فى حاجته. صحيح مسلم ٤٤١٥.

واضح من الحديث أن الرسول كان مضطجعاً فى فراشه، مرط (ثوب = فستان) عائشة فلما حضر عثمان لم يرد الرسول أن يراه عثمان هكذا لما يعرفه من حياء عثمان وخجله فأعطى المرط لعائشة وجلس وقال لها اجمعى عليك ثيابك وباقى التفاصيل واضحة فى الحديث.

سؤال:

لماذا قال النبى لعائشة عندما جاء عثمان اجمعى عليك ثيابك؟ هل هذا يعنى أن زوجة النبى صلوات الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كانت هى الأخرى كاشفة عن عورتها لأنها من غير مرط (ثوب)؟؟!!. ألم يقل فى الحديث إن أبا بكر وعمر استأذنا على النبى فأذن لهما وهو على تلك الحال (أى مضطجع وعليه مرط عائشة) ثم عندما جاء عثمان قال لعائشة اجمعى عليك ثيابك! أليس هذا دليل على أنها كانت موجودة كما أنها هى التى نقلت الرواية هذه؟

وجاء الحديث بلفظ آخر،،،

أن عائشة قالت: كان رسول الله مضطجعاً فى بيتى كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه... فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟

انتهى الاقتباس

نقول وبالله التوفيق:

أولاً: المرط ليس فستاناً ولا ثوباً، المرط هو كساء من صوف أو خز يضعه الرجل عليه، كما تضعه المرأة، ويلتحف فيه الرجل والمرأة سواء، كما فى جامع الترمذى، فمثلاً خرج النبى - ﷺ - ذات غداة وعليه مرط من شعر أسود.

(المرط): بالكسر كساءُ صُوفٍ أو خز (والجمع) مروط وبالفتح نتف الشعر (معجم القاموس المحيط).

المرط: كساءٌ من خَزٍّ أو صوف أو كتَّان يؤتزر به وتتلفع به المرأة (والجمع)

مروط. (معجم المحيط).

وكذلك تقول العرب (لابس) إذا وضع الشىء عليه أو جلس عليه، ولهذا جاء فى حديث جالس على حصير بلى من طول ما لُبِسَ - أى من طول ما جلس عليه تلف الحصير، فمعنى كلمة لبس أعم فى لغة العرب من معناها فى اللهجات العامية، فى اللغة تشمل وضع الرداء أو اللحاف على الجسد، بل والجلوس على الحصير أو أى سجاد - وهذا هو الذى كان فعله النبى - ﷺ - كان ملتحفاً بالمرط أى بالكساء.

وهل يعقل أن النبى - ﷺ - يلبس فستان امرأة، ولماذا؟ ولكن لا بأس فنحنُ نلتمس العذر لسذاجة عقولهم وطريقة تفكيرهم.

وثانياً: القصة واضحة لا إشكال فيها كانت عائشة فى ناحية البيت ومتحجبة بالحجاب الشرعى، والنبى - ﷺ - مضطجع وعليه مرط، عليه لحاف هو فى الأصل تتلحف به عائشة، ولكنه وضعه عليه وهو مضطجع، دخل أبو بكر ودخل عمر والنبى على هذا الحال، وعائشة على حجابها، ثم لما دخل عثمان وهو شديد الحياء خشى أن عثمان يشعر أنه قد أحرج النبى فيمتنع من قول حاجته، فأمر النبى عائشة أن لا تكتفى بالحجاب ولكن تجمع عليها ثيابها أكثر حتى يبدو أهل البيت فى حال استقبال الناس، وأما هو فجلس له وتهيأ له، حتى لا يمنعه الحياء من سؤال حاجته.

أما ما جاء فى اللفظ الآخر للحديث فنقول،،

أن النبى - ﷺ - بشر من البشر، ومن طبيعة البشر أنه قد يسقط بعض الكلفة أمام بعض خاصته، بما لا يفعله أمام غيرهم، والنبى - ﷺ - كان يرى فى عثمان حياء شديداً، فهو يستحى أن يرى النبى - ﷺ - فى مثل هذا الحال، إنه شخص شديد التحرج، وخاف النبى - ﷺ - أن تمنعه رؤية هيئة النبى - ﷺ - على هذا الحال أن يذكر حاجته من النبى، فجلس له وتهيأ له بما يناسب طبيعة عثمان - رضي الله عنه -، ثم قال إن هذا الرجل تستحى منه الملائكة، وليس فى

هذا نفى أن الملائكة تستحى من النبى، ولكن ذكر هنا حياءهم من عثمان، لأنه شديد الحياء، والملائكة أيضاً موصوفة بالحياء، فإذا رأت عثمان استحيت من كونه أشد حياء من الملائكة، كأن النبى يقول لهذا السبب أنا أقدر شدة حيائه، وتميزه بهذه الناحية فيكون تهيئى له يختلف عن غيره، وليس فى هذا ما يغض من منزلة النبى - ﷺ - أبداً، ولكن الحاقد ينظر بنظرة الحقد لا بعين الإنصاف.

هذا هو المعنى المستفاد من الحديث لا أكثر، ولهذا رواه أهل الحديث وتلقاه المسلمون من غير استنكار لأنه ليس فيه ما يستنكر، أما الحاقدون الجاهلون بلغة العرب، فهم يتوهمون ويُوهمون ما ليس يدل عليه سياق الحديث ولا لغته، وهو أنه كان النبى يلبس فستان عائشة وهى بلا فستان، ثم لما دخل أبو بكر وعمر كانا على هذا الحال، ثم لما دخل عثمان نزع الفستان ولبسته عائشة، وهذا فهم أعجمى وسقيم وطفولى وغبى، ولا يدل عليه الحديث والقصة بعيدة كل البعد عن هذا الفهم المريض، ولكن لأنهم قد أكل الغيظ قلوبهم، ولهم نقول ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٩)، والله المستعان عليهم.



(١) سفر التكوين (٢١ - ٢١).

شبهـة

زواج الرسول - ﷺ - من عائشة أم المؤمنين

الرد على الشبهة

أولاً: إنّ زواج الرسـول - ﷺ - من السـيـدة عـائشـة - رضي الله عنها - كـان أصـلاً باقتـراح من خـولة بنت حكيم على الرسـول - ﷺ -؛ لتـوكـيـد الصلة مع أحبِّ الناس إليه سيدنا أبي بكر الصديق، لتربطهما أيضاً برباط المصاهرة الوثيق وهذا دليل على أنها كانت فى سن زواج.

ثانياً: أن السـيـدة عـائشـة - رضي الله عنها - كانت قبل ذلك مخطوبة لجُبَيْر بن المُطْعِم ابن عَدِيٍّ، فهى ناضجة من حيث الأنوثة مكتملة بدليل خطبتها قبل حديث خولة.

ثالثاً: أن قـريش التى كانت تتـربّص بالرسـول - ﷺ - الدوائر لتـأليب الناس عليه من فجوة أو هفوة أو زلة، لم تُدهش حين أعلن نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أىّ أمر طبيعى.

رابعاً: أن السـيـدة عـائشـة - رضي الله عنها - لم تكن أول صبيّة تزفّ فى تلك البيئة إلى رجل فى سن أبيها، ولن تكون كذلك أخراهن. لقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عمّ آمنة فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هى فى سنّ هالة وهى آمنة بنت وهب.

ثمّ لقد تزوج سيدنا عمر بن الخطاب من بنت سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو فى سن جدها، كما أن سيدنا عمر بن الخطاب يعرض بنته

الشابة حفصة على سيدنا أبى بكر الصديق وبينهما من فرق السن مثل الذى بين الرسول - ﷺ - وعائشة رضي الله عنها. ولكنّ نفراً من المستشرقين يأتون بعد أكثر من ألف وأربع مائة عام من ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والإقليم، ويطيلون القول فيما وصفوه بأنه الجمع الغريب بين الكهل والطفولة، ويقيسون بعين الهوى زواجاً عقد فى مكة قبل الهجرة بما يحدث اليوم فى بلاد الغرب حيث لا تتزوج الفتاة عادة قبل سنّ الخامسة والعشرين(١).

ويجب الانتباه إلى أن نضوج الفتاة فى المناطق الحارة مبكر جدا وهو فى سن الثامنة عادة، وتتأخر الفتاة فى المناطق الباردة إلى سنّ الواحد والعشرين كما يحدث ذلك فى بعض البلاد الباردة. وأياً ما يكون الأمر فإنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوج السيدة عائشة - رضي الله عنها - من أجل المتعة، وهو الذى بلغ الخامسة والخمسين من عمره، وإنما كان ذلك لتوكيد الصلة مع أحب الرجال إليه عن طريق المصاهرة، خاصّة بعد أن تحمّل أعباء الرسالة وأصبحت حملاً ثقيلاً على كاهله، فليس هناك مجال للتفكير بهذا الشأن.

ولو كان عليه الصلاة والسلام همّه النساء والاستمتاع بهنّ لكان فعل ذلك أيّام كان شابا حيث لا أعباء رسالة ولا أثقالها ولا شيخوخة، بل عنفوان الشباب وشهوته الكامنة.

غير أننا عندما ننظر فى حياته فى سنّ الشباب نجد أنّه كان عازفاً عن هذا كله، حتى إنّ رضى بالزواج من السيدة خديجة - رضي الله عنها - الطاعنة فى سنّ الأربعين وهو ابن الخامسة والعشرين.

ثمّ لو كان عنده هوس بالنساء لما رضى بهذا عمراً طويلاً حتى توفيت زوجته خديجة - رضي الله عنها - دون أن يتزوج عليها. ولو كان زواجه منها فلتة فهذه خديجة - رضي الله عنها - توفاها الله، فبمن تزوج بعدها؟ لقد تزوج بعدها بسودة بنت

---

(١) وقد يكون لها صديق (البوى فرند) كما يقولون فى زمن الطفولة يفعل بها ما يشاء وما تشاء بدون أى عقد رسمى إلا أن يكون الشيطان بينهما.

زمعة العامرية جبراً لخاطرها وأنساً لوحشتها بعد وفاة زوجها، وهى فى سنّ كبير، وليس بها ما يرغب الرجال والخطاب. هذا يدل على أنّ الرسول - ﷺ - كان عنده أهداف من الزواج إنسانية وتشريعية وإسلامية ونحو ذلك.

ومنها أنه عندما عرضت عليه خولة بنت حكيم الزواج من عائشة فكّر الرسول - ﷺ - أيرفض بنت أبى بكر، وتأبى عليه ذلك صحبة طويلة مخلصة، ومكانة أبي بكر عند الرسول والتى لم يظفر بمثلها سواه.

ولمّا جاءت عائشة - رضي الله عنها - إلى دار الرسول - ﷺ - فسحت لها سودة المكان الأول فى البيت، وسهرت على راحتها إلى أن توفاها الله، وهى على طاعة الله وعبادته، وبقيت السيدة عائشة - رضي الله عنها - بعدها زوجة وفيّة للرسول - ﷺ - تفقهت عليه حتى أصبحت من أهل العلم والمعرفة بالأحكام الشرعية.

وما كان حب الرسول - ﷺ - للسيدة عائشة - رضي الله عنها - إلا امتداداً طبيعيّاً لحبّه أباها رضى الله عنهما.

ولقد سُئل عليه الصلاة والسلام: من أحبّ الناس إليك؟ قال: (عائشة) قيل: فمن الرجال؟ قال: (أبوها). هذه هى السيدة عائشة - رضي الله عنها - الزوجة الأثيرة عند الرسول - ﷺ - وأحبّ الناس إليه.

لم يكن زواجه منها لمجرّد الشهوة، ولم تكن دوافع الزواج بها المتعة الزوجية بقدر ما كانت غاية ذلك تكريم أبى بكر وإيثاره وإدناؤه إليه وإنزال ابنته أكرم المنازل فى بيت النبوّة.



شبهة
زواج النبى - ﷺ - من زينب بنت جحش
والرد عليها

الرد على الشبهة

ونعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى لأهميته:

كانت عادة التبنى لا تزال قائمة فى نفوس الناس، وليس من السهل التغلب على الآثار المترتبة عليها، ومن أهم هذه الآثار أن الأب لا يتزوج امرأة من تبناه بعد وفاته أو طلاقه لزوجته، فاختار الله تعالى لهذه المهمة صاحب الرسالة - ﷺ - وأمره بالزواج من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد.

وبعد أن تزوج النبى - ﷺ - من زينب رضي الله عنها، أثار هذا الزواج أحاديث همز ولمز وأقاويل كثيرة من قبل المشركين والمنافقين، فقد قالوا: تزوج محمد حليلة ابنه زيد بعد أن طلقها، كما وأن للمستشرقين ومن شايعهم فى العصر الحاضر، أحاديث فى هذا الموضوع، فاتخذوا من هذه الحادثة ذريعة للطعن فى رسول الله - ﷺ.

والذى أريد أن أتحدث عنه هو الرد على هؤلاء المستشرقين الذين اتخذوا من هذه القضية مدخلاً للطعن فى نبى الله ﷺ، كما وأنهم تناولوا زواجه - ﷺ - بهذا العدد، فجعلوا منه مادة للنيل منه ﷺ، ووصفوه بأشياء ينبو عنها القلم.

ولما كان هذا الأمر من الخطورة بمكان لتعلقه بأشرف خلق الله على الإطلاق - وكان كل من يطلق لسانه فى هذا الصدد يقول: لسنا نبتدع شيئاً، فها هى كتب التفسير وكتب السير تحكى ذلك -، لذا سأقوم الآن بعرض تلك الروايات التى اعتمدوا عليها رواية رواية، متبعاً كل رواية منها ببيان ما وجّه لأسانيدها من نقد، ثم أتبع ذلك بنقدها جميعاً من جهة متونها، وموقف الأئمة المحققين من هذه الروايات.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ **(الأحزاب: ٣٧).**

إن السبب فى طلاق زيد لزينب ومن ثم زواج النبى - ﷺ - منها؛ هو ما كان بين زيد وبين زينب من خلافات، وأنه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه أن تبقى الحياة الزوجية بينهما، فطلقها بمحض اختياره ورغبته، وكان رسول الله - ﷺ - ينهاه عن ذلك، وقد كان الله عز وجل قد أعلم نبيه - ﷺ - أن زيداً سيطلق زينب، وأنه ستكون زوجة له، وأنه ﷺ - كان يخفى هذا ويخشى من مقولة الناس، أنه تزوج مطلقة من كان يدعى إليه، فعاتبه ربه على ذلك. انظر: جامع البيان للطبرى (١١/٢٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٩/٣)، وانظر البخارى (برقم ٤٧٨٧).

خلاصة ما جاء فى كتب التفسير والتى استدل بها المستشرقون أن هناك سبباً آخر لطلاق زينب، هو أن النبى - ﷺ - رأى زينب فجأة وهى فى ثياب المنزل فأعجبته، ووقع فى قلبه حبها، فتكلم بكلام يفهم منه ذلك، إذ سمعه زيد فبادر إلى طلاقها تحقيقاً لرغبة رسول الله - ﷺ - وأن زيداً شاوره فى طلاقها، وكان رسول الله - ﷺ - ينهاه عن ذلك، لكن فى قلبه ضد هذا، وأنه كان راغباً فى طلاق زيد لها ليتزوجها، وفوق ذلك فقد أقر الله رسوله على ما

فعل، بل عاتبه لِمَ يخفى هذا والله سيبديه.

ورغم شناعة ما جاء فى هذه الروايات، وهذا الفهم للآية الكريمة التى تتحدث عن طلاق زيد لزينب وزواج النبى - ﷺ - بها، إلا أنه قد جاز على أئمة فضلاء، ففسروا به الآية الكريمة، وأثبتوا ذلك صراحة فى كتبهم وتفاسيرهم.

ومن هؤلاء الأئمة:

ابن جرير الطبرى فى كتابه «جامع البيان» (١٢/٢٢)، عند تفسيره الآية ولم يذكر غيره.

ومنهم: الرازى فى «تفسيره» (١٨٤/١٣)، حيث ذكر نحواً من كلام ابن جرير.

ومنهم: ابن القيم فى كتابه «الجواب الكافى» (ص٢٤٧)، حيث ذكره فى معرض سوقه لحكايات فى عشق السلف الكرام والأئمة الأعلام.

ومنهم: الزمخشرى فى تفسيره (٢٦٢/٣).

وأحسن ما يعتذر به عن هؤلاء الأئمة وأتباعهم ممن ذهب يفسر الآية بهذا، أنهم عدوا هذا منه - ﷺ - من عوارض البشرية، كالغضب والنسيان، ولكنهم لم يستحضروا شناعة هذا التفسير للآية، ونسبة ذلك لرسول الله - ﷺ -، ولم يدققوا فى الروايات التى وصلتهم من جهة أسانيدها ومتونها كما فعل غيرهم، ونحن نسأل الله أن يثيبهم على اجتهادهم وأن يغفر لهم.

والآن إلى نقد الروايات...

الرواية الأولى

ذكرها ابن سعد فى طبقاته (١٠١/٨) ومن طريقه ساقها ابن جرير فى تاريخه (١٦١/٣): قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنى عبد الله بن عامر الأسلمى، عن محمد بن يحيى بن حبان، قال: جاء رسول الله - ﷺ - بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما فقده رسول الله - ﷺ - الساعة فيقول: أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه، فلم يجده، وتقوم إليه

زينب بنت جحش زوجته فضلاً أى وهى لابسة ثياب نومها ـ، فأعرض رسول الله ـ ﷺ ـ عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل بأبى أنت وأمى، فأبى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يدخل، وإنما عجلت أن تلبس لما قيل لها: رسول الله ـ ﷺ ـ على الباب فوثبت عجلى، فأعجبت رسول الله ـ ﷺ ـ، فولى وهو يهمهم بشىء لا يكاد يفهم منه إلا: سبحان مصرّف القلوب، فجاء زيد إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله ـ ﷺ ـ أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟ قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: فسمعت شيئاً؟ قال: سمعته يقول حين ولى بكلام لا أفهمه، وسمعته يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال، لعل زينب فأفارقها فافارقها، فيقول رسول الله: أمسك عليك زوجك. فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فيخبره، فيقول رسول الله: أمسك عليك زوجك، فيقول: يا رسول الله أفارقها، فيقول رسول الله: احبس عليك زوجك، ففارقها زيد واعتزلها وحلت يعنى انقضت عدتها قال: فبينما رسول الله ـ ﷺ ـ جالس يتحدث مع عائشة، إلى أن أخذت رسول الله ـ ﷺ ـ غشية، فسرى عنه وهو يبتسم وهو يقول: من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها من السماء؟ وتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ الآية **(الأحزاب: ٣٧)** القصة كلها.

قالت عائشة: فأخذنى ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هى أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها، زوجها الله من السماء، وقلت: هى تفخر علينا بهذا، قالت عائشة: فخرجت سلمى خادم رسول الله ـ ﷺ ـ تشتد فتحدثها بذلك، فأعطتها أوضاحاً حلى من الفضة عليها.

وإسناد هذه الرواية فيه علل ثلاث، واحدة منها تكفى لرد هذه الرواية:

العلة الأولى: أنها مرسلة، فمحمد بن يحيى بن حبان تابعى، يروى عن الصحابة، ويروى أيضاً عن التابعين، كعمر بن سليم والأعرج، وغيرهما،

(ت١٢١هـ) وعمره (٧٤ سنة)، فهو لم يدرك القصة قطعاً ولم يذكر من حدثه بها. التهذيب (٥٠٧/٩ ـ ٥٠٨).

العلة الثانية: عبد الله بن عمر الأسلمى، ضعيف بالاتفاق، بل قال فيه البخارى: ذاهب الحديث، وقال أبو حاتم: متروك. التهذيب (٢٧٥/٥)، وميزان الاعتدال (٤٤٨/٢).

العلة الثالثة: محمد بن عمر، وهو الواقدى، إخبارى كثير الرواية، لكنه متروك الحديث، ورماه جماعة من الأئمة بالكذب ووضع الحديث. ميزان الاعتدال (٦٦٤/٣).

الرواية الثانية

ذكرها ابن جرير فى تفسيره (١٢/٢٢) قال: حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبى ـ ﷺ ـ قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش بنت عمته، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ يوماً يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشفت وهى فى حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها فى قلب النبى ـ ﷺ ، فلما وقع ذلك كرهت الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إنى أريد أن أفارق صاحبتى، قال: مالك؟ أرابك منها شىء؟ قال: لا، والله ما رابنى منها شىء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، تخفى فى نفسك إن فارقها تزوجتها.

وهذه الرواية فيها علتان:

العلة الأولى: أنها معضلة، فابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ليس بصحابى ولا تابعى، فقط سقط من الإسناد راويان أو أكثر.

العلة الثانية: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا ضعيف باتفاق

المحدثين، بل صرح بعضهم بأنه متروك الحديث، قال البخارى وأبو حاتم: ضعفه على بن المدينى جداً، وقال أبو حاتم: كان فى الحديث واهياً، وجاء عن الشافعى أنه قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال: إن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم. ولهذا لما ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً قال له: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح. وأقوال الأئمة فى تضعيفه كثيرة، وهو رجل صالح فى نفسه لكنه شغل بالعبادة والتقشف عن حفظ الحديث فضعف جداً. التهذيب (٦/١٧٨). ويروى عنه شىء كثير فى التفسير. فما كان من رأيه فى فهم القرآن، فهذا ينظر فيه، وأما ما يرويه مسنداً فغير مقبول، فكيف إذا أرسل الحديث؟!.

الرواية الثالثة:

ذكرها أحمد فى مسنده (٣/١٤٩ - ١٥٠)، قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت بن أنس قال: أتى رسول الله - ﷺ - منزل زيد بن حارثة فرأى رسول الله ﷺ امرأته زينب، وكأنه دخله لا أدرى من قول حماد أو فى الحديث فجاء زيد يشكوها إليه، فقال له النبى - ﷺ -: أمسك عليك زوجك واتق الله، قال: فنزلت ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا﴾ يعنى زينب.

مؤمل بن إسماعيل قواه بعض الأئمة، ووصفه أكثرهم بأنه كثير الخطأ يروى المناكير، قال يعقوب بن سفيان: حديثه لا يشبه حديث أصحابه، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه، فإنه يروى المناكير عن ثقات شيوخه، وهذا أشد، فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنا نجعل له عذراً.

وقال محمد بن نصر المروزى: المؤمل إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف ويتثبت فيه، لأنه كان سىء الحفظ كثير الغلط. التهذيب (١٠/٣٨١).

وحديثه هذا قد رواه جماعة من الثقات من أصحاب حماد فلم يذكروا أول

الحديث، وإنما ذكروا مجىء زيد يشكو زينب، وقول النبى - ﷺ - له، ونزول الآية. البخارى (برقم ٧٤٢٠) والترمذى (برقم ٣٢١٢) والنسائى (برقم ١١٤٠٧).

الرواية الرابعة:

رواها ابن جرير فى تفسيره (١٣/٢٢)، قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام: ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، قال: وكان يخفى فى نفسه ودّ أنه طلقها، قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد منها قوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، ولو كان نبى الله - ﷺ - كاتماً شيئاً من الوحى لكتمها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾، قال خشى نبى الله ﷺ مقالة الناس.

وروى عبد الرزاق عن مَعمَّر عن قتادة هذه القصة مختصرة، قال: جاء زيد بن حارثة فقال: يا رسول الله إن زينب اشتد علىَّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال: والنبى - ﷺ - يحب أن يطلقها ويخشى مقالة الناس. فتح البارى (٥٢٤/٨).

وقتادة هو ابن دُعَامَة السَّدُوسى أحد الأئمة الحفاظ، مشهور بالتفسير، فما فسره من فهمه للآيات فينظر فيه، وما ذكره رواية فإن العلماء أخذوا عليه كثرة التدليس، فاشترطوا لصحة حديثه أن يصرح بالسماع، وهذا إذا ذكر الإسناد، فإما ما يرسله ولا يذكر بعده فى الإسناد أحداً كما فى روايته لهذه القصة فهو ضعيف جداً، قال الشعبى: كان قتادة حاطب ليل[1]، وقال أبو عمرو ابن العلاء: كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شىء، يأخذان عن كل أحد. التهذيب (٣٥١/٨ - ٣٥٦). وكان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزهرى وقتادة شيئاً، ويقول: هو بمنزلة الريح. جامع التحصيل فى أحكام المراسيل للعلائى (ص١٠١).

(١) لا ينقد ما يرويه بل يأخذه كما هو كحاطب ليل قد يحمل ثعباناً على كتفه يحسبه جزع شجرة.

على أن روايته لتفسير الآية ليس فيها تفصيل كما فى الروايات الأخرى، ويمكن رد روايته إلى الروايات الصحيحة فى تفسير الآية، فيكون معنى (أحب) و (ودّ) أى علم أن زيداً سيطلقها ولابد بإلهام الله له ذلك، وتكون خشيته من مقالة الناس حينئذٍ أن يقولوا: تزوج حليلة ابنه.

الرواية الخامسة:

ذكرها القرطبى فى تفسيره (١٤/١٩٠) قال مقاتل: زوّج النبى - ﷺ - زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حيناً، ثم إنه - ﷺ - أتى زيداً يوماً يطلبه، فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتمّ نساء قريش، فهويها وقال: سبحان الله مقلب القلوب، فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد، ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لى فى طلاقها، فإن فيها كبراً، تعظم علىّ وتؤذينى بلسانها، فقال ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله، وقيل: إن الله بعث ريحاً فرفعت الستر وزينب متفضلة فى منزلها، فرأى زينب فوقعت فى نفسه، ووقع فى نفس زينب أنه وقعت فى نفس النبى - ﷺ - وذلك لما جاء يطلب زيداً، فجاء زيد فأخبرته بذلك، فوقع فى نفس زيد أن يطلقها.

هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً إلى مقاتل، ولو صحت إلى مقاتل لم يفدها شيئاً، فإن مقاتلا وهو مقاتل بن سليمان فيما يظهر قد كذبه جمع من الأئمة ووصفوه بوضع الحديث، وتكلموا فى تفسيره. انظر ترجمته فى التهذيب (١٠/٢٧٩ - ٢٨٥).

الرواية السادسة:

قال ابن إسحاق: مرض زيد بن حارثة فذهب إليه رسول الله ﷺ يعوده وزينب ابنة جحش امرأته جالسة على رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول الله ﷺ ثم طأطأ رأسه، فقال: سبحان مقلب القلوب والأبصار، فقال زيد: أطلقها لك يا رسول الله، فقال: لا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ..﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

مَفْعُولاً﴾. «تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام» اللواء أحمد عبد الوهاب (ص٦٨).

هذه الرواية لم يذكروا لها إسناداً، ولم أقف عليها فى سيرة ابن هشام.

وبعد أن تبين ضعف هذه الروايات وسقوطها من جهة أسانيدها، فلننظر فيها من جهة متونها وما فيها من اضطراب ونكارة، من عدة وجوه:

الوجه الأول: تناقض الروايات المذكورة، ففى بعضها أن رسول الله - ﷺ - زار زيد بن حارثة وهو غائب فاستقبلته زينب، وفى بعضها أن زيداً كان مريضاً، فزاره رسول الله ﷺ، وكان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم جالساً هو وزيد وزينب، فكيف يكون زيد غائباً ومريضاً فى فراشه فى وقت واحد؟!

الوجه الثانى: والروايات التى ذكرت أن رسول الله - ﷺ - زار زيداً اختلفت فى كيفية رؤية الرسول - ﷺ - لزينب رضي الله عنها، فرواية تقول بأنه كان واقفاً بالباب فخرجت إليه، ورواية بأنه كان واقفاً بباب زيد فرفعت الريح ستر الشعر فرأها فأعجبته.

الوجه الثالث: تتفق الروايات على أن إعجاب النبى - ﷺ - بزينب ووقوع حبها فى قلبه جاء متأخراً، أى بعد أن تزوجها زيد - رضي الله عنه، وهذا شىء عجيب، فلقد ولدت زينب ورسول الله ﷺ قد جاوز الثانية عشرة من عمره، وشبت وترعرعت أمامه، فهى ابنة عمته، ألم يلحظ مفاتنها إلا متأخراً، وبعد أن صارت زوجة لدعيّه[1]، وهو الذى زوجها له، والحجاب لم ينزل بعد، فقد نزل صبيحة عرسها، ألا يكون شاهدها، فلو كان يهواها أو وقعت فى قلبه لما منعه شىء من زواجها، فإشارة منه - ﷺ - كافية لأن يقدموها له، بل قد ورد أنها وهبت نفسها له. انظر كلام ابن العربى حول هذا الوجه فى كتابه «أحكام القرآن» (١٥٤٣/٣).

الوجه الرابع: لو افترضنا جدلاً أن حبها وقع فى قلبه - ﷺ - متأخراً بعد

(١) من ادعاه ابنه قبل تحريم التبنى.

رؤيته لها عند زيد بن حارثة، فبأى شىء يمكن تفسير ما صدر منه - ﷺ - وفهم منه زيد وزينب أنها وقعت فى قلبه، سواء كان ذلك تسبيحاً أو طأطأة للرأس، أو غير ذلك؟! كيف ذلك وهو الذى نهى عن أن يخبب الرجل امرأة غيره عليه؟ أفيعمل ما قد نهى أمته عنه؟! فعن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: **«من خبب**[1] **زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا»** أبو داود (برقم ٥١٧٠) بسند صحيح.

ولو افترضنا أن رسول الله ﷺ لم يقصد إفهامها ذلك، وإنما صدر منه ذلك عفواً دون قصد، فكيف بما ذكروا أنه عقد عليه قلبه من محبته ورغبته أن يطلقها زيد ليتزوجها؟ ولو نسب ذلك إلى آحاد المسلمين لكان ينبغى تبرئته من ذلك.

وفوق ذلك كله يعاتبه الله كما تقول هذه الروايات لأنه أخفى ذلك عن الناس ولم يعلن أنه يحب زوجة زيد، وأنه يود لو طلقها ليتزوجها؟ تصور مثل هذا كاف فى ظهور بطلان هذه الروايات.

الوجه الخامس: هذه الروايات التى فسروا بها الآية لو لم يرد غيرها لم يصح أن يفسر بها كتاب الله تعالى، لسقوطها إسناداً ١٤٢، فكيف وقد وردت روايات أخرى فى تفسير الآية تفسيراً منطقيا لا إشكال فيه ولا نكارة، فالذى يخفيه - ﷺ - هو ما أعلمه ربه أنه ستصبح زوجة له، والذى يخشاه هو مقولة الناس إنه تزوج حليلة من كان يدعى إليه.

والغريب فى الأمر أن بعض المفسرين ترك هذه الروايات الصحيحة والتى لا مطعن فيها، وذكر تلك الروايات الشاذة الغريبة، ومنهم من لم يذكرها لكنه ذهب يفسر الآيات على ضوئها.

وإذا اتضح الآن سقوط تلك الروايات سنداً ومتناً فإنه لا يفوتنى هنا أن أسجل مواقف بعض الأئمة المحققين من المفسرين وغيرهم الذين وقفوا أمام

(١) أصل الخبب الخداع والإفساد.

هذه الروايات موقفاً حازماً صلباً، فمنهم من ذكرها وفندها، ومنهم من أضرب عنها صفحاً بعد الإشارة إلى ضعفها ونكارتها.

قال ابن العربى بعد أن ذكر ملخص هذه الروايات، وبين عصمة النبى - ﷺ -: هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. أحكام القرآن (١٥٤٣/٣).

قال القرطبى بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه ﷺ، وما الذى كان يخشاه الناس: وهذا القول أحسن ما قيل فى تأويل هذه الآية، وهو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهرى والقاضى بكر بن العلاء القشيرى والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم. فأما ما روى أن النبى - ﷺ - هوى زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض المُجّان لفظ عشق فهذا إنما صدر عن جاهل بعصمة النبى - ﷺ - عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٤).

وقال ابن كثير بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: ذكر ابن أبى أبى حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف - رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها، وقد روى الإمام أحمد هاهنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس - رضي الله عنه - فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً. «تفسير القرآن العظيم» (٤٩١/٣).

وقال ابن حجر بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها. فتح البارى (٥٢٤/٨).

وهناك ثلة كبيرة من علماء الإسلام فى العصر الحاضر تفطنوا لمثل هذه الأخبار، ورمقت أبصارهم ما تنطوى عليه من مداخل خطيرة لا تليق بمقام الأنبياء، فأنار الله بصائرهم لكشف النقاب عن هذه الآثار الدخيلة، فكان لهم الفضل فى التنبيه وإيقاظ الفكر الإسلامى للتصدى لكل دسيسة يراد منها النيل من قداسة رسول الله ﷺ، أو تشويه الحقائق التاريخية فى تراث

الإسلام.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وللقُصَّاص[1] فى هذه القصة كلام لا ينبغى أن يجعل فى حيز القبول، ويجب صيانة النبى - ﷺ - عن هذه الترهات التى نسبت إليه زوراً أو بهتاناً. محمد رسول الله ﷺ (ص٢٧٥).

وخلاصة الأمر..

كان زواج الرسول - ﷺ - من زينب بنت جحش لهلال ذى القعدة من العام الخامس الهجرى وهى بنت خمس وثلاثين. ابن سعد فى الطبقات (١١٤/٨).

روى البخارى فى صحيحه (برقم ٧٤٢٠): أن زيداً جاء يشكو زوجته، فجعل النبى - ﷺ - يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه، فكانت تفخر على أزواج النبى - ﷺ - تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجنى الله من فوق سبع سموات.



(١) الذى يحكون القصص وهم عادة لا يتثبتون فى رواياتهم.

شبهــة
حول شرب الرسول - ﷺ - للنبيذ !!

الرد على الشبهة

النبيذ لغويا:

كل ما ينتبذ فى الماء أو اللبن أو غيرها فهو نبيذ.

فقد جاء فى معجم لسان العرب، الإصدار ٢٠٠٢ - لابن المنظور الإفريقى:

النبذ: طرحك الشىء من يدك أمامك أو وراءك.

نبذت الشىء أنبذه نبذاً إذا ألقيته من يدك، ونبذته، شدد للكثرة.

ونبذت الشىء أيضاً إذا رميته وأبعدته.

ومنه الحديث: (فنبذ خاتمه، فنبذ الناس خواتيمهم).

أى: ألقاها من يده.

وكل طرح: نبذ؛ نبذه، ينبذه نبذاً.

والنبيذ: معروف، واحد الأنبذة.

والنبيذ: الشىء المنبوذ.

والنبيذ: ما نبذ من عصير ونحوه.

وقد نبذ النبيذ وأنبذه وانتبذه ونبذه ونبذت نبيذاً إذا تخذته، والعامة تقول:

أنبذت.

وفى الحديث: (نبذوا وانتبذوا).

وحكى اللحيانى: نبذ تمراً جعله نبيذاً، وحكى أيضاً: أنبذ فلان تمراً.

قال: وهى قليلة وإنما سمى نبيذاً لأن الذى يتخذه تمراً أو زبيباً فينبذه فى وعاء أو سقاه عليه الماء ويتركه حتى يفور فيصير مسكراً.

والنبذ: الطرح، وهو ما لم يسكر حلال فإذا أسكر حرم.

وقد تكرر فى الحديث ذكر النبيذ، وهو ما يعمل من الأشربة من التَّمر والزَّبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك.

يقال: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً، فصرف من مفعول إلى فعيل.

وانتبذته: اتخذته نبيذاً وسواء كان مسكراً أو غير مسكر فإنه يقال له: نبيذ، ويقال للخمر المعتصرة من العنب: نبيذ، كما يقال للنبيذ: خمر.

ونبذ الكتاب وراء ظهره: ألقاه.

وقد جاء فى الحديث النبوى غير المحكوم عليه فى الدرر السنية للألبانى رحمه الله (أن النبى - ﷺ - قال له ليلة الجن: ما فى إداوتك؟! قال: قلت: نبيذ: قال: ثمرة طيبة، وماء طهور، فتوضأ منه) مشكاة المصابيح ٤٥٩.

فالنبيذ كما هو مشار فى الحديث هو الماء الموضوع فيه قليل من التمر مما يجعل طعم الماء حلو المذاق وليس كما يدعى الكفرة على رسول الله وخير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

وشرب النبيذ والعصير جائز بالاتفاق قبل غليانه - الغليان أى الاختمار - وذلك ودليل مشروعيته هو:

حديث أبى هريرة عند أبى داود والنسائى وابن ماجه، قال علمت أن النبى

- ﷺ - كان يصوم، فتحينت فطره بنبيذ صنعته فى دباء، ثم أتيته به، فإذا هو ينش (أى يغلى أى مختمر) فقال (اضرب بهذا الحائط، فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر).

وأخرج أحمد عن ابن عمر فى العصير قال: (اشربه مالم يأخذه شيطانه، قيل وفى كم يأخذه شيطانه؟ قال فى ثلاث) قلت: أى ثلاث ليال.

وأخرج مسلم وغيره من حديث ابن عباس: (أنه كان ينقع للنبى - ﷺ - الزبيب فيشربه اليوم والغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة، ثم يأمر به فيسقى الخادم أو يهرق).

قلت: ومعنى قوله يسقى الخادم هو ما قاله أبو داود: ومعنى أن يسقى الخادم يبادر به الفساد[1] ومظنة ذلك ما زاد على ثلاثة أيام.

وقد أخرج مسلم وغيره من حديث عائشة: (أنها كانت تنتبذ لرسول الله ﷺ غدوة، فإذا كان العشى فتعشى، شرب على عشائه، وإن فضل شىء صبته أو أفرغته ثم تنتبذ له بليل، فإذا أصبح تغدى فشرب على غدائه قالت تغسل السقاء غدوة وعشية).

قلت: وهو لا ينفى حديث ابن عباس السابق أنه كان يشرب اليوم والغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة، لأن الثلاث مشتملة على زيادة غير منافية، والكل فى الصحيح.

قال ﷺ: **«إنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام، فامسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا فى سقاء فاشربوا فى الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا»** صحيح النسائى ٥٢٢٣.

وهذه الأدلة من الأحاديث النبوية والتفسيرات اللغوية نستنتج الآتى:

١ - أن كل خمر هو نبيذ ولكن ليس كل نبيذ هو خمر[1].

(١) يسارع به قبل الفساد.

٢ - أن النبيذ الذى كان يشربه - ﷺ - هو عبارة عن ماء منقوع به قليل من التمر وهو بمثابة العصير الذى لم يختمر ويصبح خمراً مسكراً كالخمر المتعارف عليه ومن المعروف ولا يخفى على أحد أن الخمر ما هى عصائر مخمرة أو مغلية.

٣ - نرى فى الأحاديث المغايرة بين النبيذ المسكر والذى نهى عنه النبى - ﷺ - وبين النبيذ المحلل شربه قبل غليانه.

السؤال الثانى: اذكر أنواعا مختلفة للنبيذ؟

الإجابة:

النقير: أصله النخلة ينقر وسطه ثم ينتبذ فيه.

البتع: نبيذ العسل.

والتمر نبيذاً.

والمزر: نبيذ الشعير.

يكفى هذا ونختصر وندخل فى سؤال الصليبيين:

الحديث الذى لم يفهمه النصارى:

حدثنا روح حدثنا حماد عن حميد عن بكر بن عبد الله أن أعربيا قال لابن عباس ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل وآل فلان يسقون اللبن وأنتم تسقون النبيذ أمن بخل بكم أو حاجة فقال ابن عباس ما بنا بخل ولا حاجة ولكن رسول الله ﷺ جاءنا ورديفه أسامة بن زيد فاستسقى فسقيناه من هذا يعنى نبيذ السقاية فشرب منه وقال أحسنتم هكذا فاصنعوا.

ما هو الأغلى فى الثمن وسعره عالى؟ الماء أم اللبن أم العسل أم التمر؟

نسهل الإجابة عليكم: فى الصحراء العربية يتوافر شجر البلح بينما نجد

---

(١) أى بينهما عموم وخصوص كما يقول المناطقة.

صعوبة فى الحصول على الماء واللبن والعسل فى هذه البيئة الصحراوية.

وبالتالى يا من يبحث عن الحق النبيذ المتوافر ورخيص هو نبيذ البلح الذى يفعله المصريون فى رمضان قبل الفطار وهو الذى شربه النبى فى الحديث لأن الناس اتهموا آل عباس بالبخل لاستخدامهم نبيذ البلح وليس الخمر الغالية الثمن مقارنة بالماء واللبن والعسل.

يعنى لو كان النبيذ الذى شربه النبى خمرا فلن يتهم آل عباس بالبخل لأن الخمر أغلى من الماء واللبن والعسل.

بعض الأدلة للتوضيح:

الحديث الأول:

٤٣٨٦ - حدثنى إسحاق حدثنا خالد عن الشيبانى عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبى - ﷺ - بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها فقال: «وما هى». قال البتع والمزر. فقلت لأبى بردة ما البتع قال: نبيذ العسل والمزر نبيذ الشعير. فقال: «كل مسكر حرام»،. رواه جرير وعبد الواحد عن الشيبانى عن أبى بردة.

الحديث الثانى:

«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله هل تدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس وأنهاكم عن أربع ما انتبذ فى الدباء والنقير والحنتم والمزقت» ٤٤١١ البخارى.

النقير: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينتبذ فيه.

الحديث الثالث:

٥٦٤٤ - حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت سئل رسول الله - ﷺ - عن البتع (نبيذ

العسل) فقال: «كل شرابٍ أسكر فهو حرام».

الحديث الفاصل والحكم فى القضية رقم ٣٣٠٥:

قال رسول الله - ﷺ -: **«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم**[١] **عن لحوم الأضاحى فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ونهيتكم عن النبيذ إلا فى سقاء فاشربوا فى الأسقية كلها»** قال ابن نمير فى روايته عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ولا تشربوا مسكراً».

أحاديث خاصة بالتمر والبلح:

قال رسول الله - ﷺ -: «لا تجمعوا بين الرطب والبسر وبين الزبيب والتمر نبيذاً[٢]».

قال رسول الله - ﷺ - : «من شرب النبيذ منكم فليشربه زبيباً فرداً فرداً أو بسراً فرداً أو تمراً[٣]».

وبهذا يا من تبحث عن الحق قد ظهر لكم مدى جهل الصليبيين فى اللغة العربية ومبادئ القراءة وحقدهم على الإسلام ورسوله العظيم ﷺ.

والآن هل بقى لكم حجة؟

وعلى فكرة آخر حديث هو حديث تربوى وأتحدى جهابذة النصارى فى اللغة أن يفهموا منه شيئاً هاهنا.

من الذى شرب الخمر؟ محمد أم اليسوع؟ كما يقولون.

يعترف الكتاب المقدس أن أول معجزات الرب يسوع هى فى شرب الخمر وإليكم الدليل من الإنجيل:

(١) رواه مسلم كتاب الأشربة حديث رقم ٦٣.

(٢) رواه مسلم كتاب الأشربة حديث رقم ١٨.

(٣) رواه مسلم كتاب الأشربة حديث رقم ٢٢.

١ - إنجيل يوحنا ٢/٣. وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك.

٢ - ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس.

٣ - ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر.

٤ - قال لها يسوع ما لى ولك يا امرأة. لم تأت ساعتى بعد.

٥ - قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه.

٦ - وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة.

٧ - قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق.

٨ - ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكا فقدموا.

٩ - فلما ذاق رئيس المتكا الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هى. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكا العريس.

١٠ - وقال له. كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذٍ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن.

١١ - هذه بداءة الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه.

النص الثانى يدين يسوع حسب قولهم:

إنجيل لوقا ٣٤/٧:

٣٤ جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان اكول وشريب خمر. محب للعشارين والخطاة[١].

---

(١) نستغفر الله من كتبهم التى كتبوها بأيديهم ويقولون هى من عند الله وما هى من عنده بل مفتراة.

شبهــة
خلو الكتب السابقة من
البشارة برسول الإسلام

زعموا أن محمداً - ﷺ - ليس برسول.

وبنوا هذا الزعم على أربع شعب هى:

١ - إن العهد والنبوة والكتاب محصورة فى نسل إسحاق لا إسماعيل؟!

٢ - إن محمداً - ﷺ - لم يأت بمعجزات؟!

٣ - إن القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية، فليس هو معجزاً؟!

٤ - إن الكتب السابقة - التوراة وملحقاتها والأناجيل - خلت من البشارة برسول الإسلام؟!

الرد على الشبهة

ولكن قبل أن نواجهها مواجهة مباشرة أريد أن أقدم كلمة موجزة بين يدى هذه المواجهة، رأيت أن تقديمها من أوجب الواجبات فى هذا المجال.

وجود «البشارات» وعدمها سواء...؟

أجل: إن وجود البشارات وعدمها فى الكتب المشار إليها آنفاً سواء، وجودها مثل عدمها، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام - ﷺ - ليست فى حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد ذلك

الدليل «الخارجى» بطلت - لا سمح الله - تلك الرسالة؛ فهى رسالة دليلها فيها، ووجود البشارات بها فى كتب متقدمة - زمناً - عليها لا يضيف إليها جديداً، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئاً قط.

فهى حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغنى عما سواها. ودليلها قائم خالد صالح للفحص فى كل زمان ومكان، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب، ظهر ولم يختف، قوى ولم يضعف. علا ولم يهبط، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء فى هذا الدليل «القرآن العظيم» حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله المكرمون.

فلا يظنن أحدٌ أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن فى حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام فى دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس فى حاجة إلى «تلك البشارات» حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظ به رسول غيره.

وسنعالج البشارة به - ﷺ - على قسمين:

١ - بشاراته (ﷺ) فى التوراة.

٢ - بشاراته (ﷺ) فى الإنجيل.

أولاً: البشارات فى التوراة

تعدد البشارات برسول الإسلام فى التوراة وملحقاتها، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه - ﷺ - ومع هذا فقد بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها «الأصلى» من حملها على رسول الإسلام - ﷺ - لأن حملها على غيره متعسر أو محال.

فهى أشبه ما تكون برسالة مغلقة مُحى «عنوانها» ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد فضها - أن يثبت اختصاصها به، لأن الكلام «الداخلى» الذى فيها

يقطع بأنها «له» دون سواه؛ لما فيها من «قرائن» وبينات واضحة ونعرض - فيما يلى - بعضاً منها:

- ١ -

«وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته».

فقال:

«جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران»[١].

فى هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:

الأولى: نبوة موسى - عليه السلام - التى تلقاها على جبل سيناء.

الثانية: نبوة عيسى - عليه السلام - وساعير هى قرية مجاورة لبيت المقدس، حيث تلقى عيسى - عليه السلام - أمر رسالته.

الثالثة: نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وجبل فاران هو المكان الذى تلقى فيه - عليه الصلاة والسلام - أول ما نزل عليه من الوحى وفاران هى مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد - صلى الله عليه وسلم -.

وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبراً وبشارتين:

فالخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولاً.

والبشارتان:

الأولى: خاصة بعيسى - عليه السلام -.

والثانية: خاصة بمحمد - صلى الله عليه وسلم -.

وموقف اليهود منها النفى: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم ولا الثانية بشارة برسول الإسلام.

(١) سفر التثنية: الإصحاح (٣٣) الفقرات (١ - ٢).

أما موقف النصارى فإن النفى - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم فى ذلك مغالطات عجيبة، حيث قالوا إن «فاران» هى «إيلات» وليست مكة. وأجمع على هذا «الباطل» واضعو كتاب: قاموس الكتاب المقدس. وهدفهم منه واضح إذ لو سَلَّمُوا بأن «فاران» هى مكة المكرمة، للزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام، وهذا عندهم قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له..!؟، أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس.

ولم يقتصر ورود ذكر «فاران» على هذا الموضع من كتب العهد القديم، فقد ورد فى قصة إسماعيل - عليه السلام - مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: إن إبراهيم - عليه السلام - استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل وطردها هى وابنها فنزلت وسكنت فى «برية فاران»[1].

على أنه يلزم من دعوى واضعى قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران بإيلات أن الكذب باعترافهم وارد فى التوراة لأنه لم يبعث نبى من «إيلات» حتى تكون البشارة صادقة. ومستحيل أن يكون هو عيسى - عليه السلام -؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلات.

فليست «فاران» إلا «مكة المكرمة» وباعتراف الكثير منهم، وجبل فاران هو جبل «النور» الذى به غار حراء، الذى تلقى فيه رسول الإسلام - ﷺ - بدء الوحى.

وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة «فاران» أشهر من الشمس.

وترتيب الأحداث الثلاثة فى العبارة المذكورة:

جاء من سيناء

وأشرق من ساعير

وتلألأ من فاران. هذا الترتيب الزمنى دليل ثالث على أن «تلألأ من جبل

(١) سفر التكوين (٢١ - ٢١).

فاران» تبشير قطعي برسول الإسلام - ﷺ -.

وفي بعض «النسخ» كانت العبارة: «واستعلن من جبل فاران» بدل «تلألأ».

وأيا كان اللفظ فإن «تلألأ» و«استعلن» أقوى دلالة من «جاء» و«أشرق» وقوة الدلالة هنا ترجع إلى «المدلولات» الثلاثة. فالإشراق جزء من مفهوم «المجئ» وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام).

أما تلألأ واستعلن فهذا هو واقع الإسلام، رسولاً ورسالة وأمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه المغالطة (فاران هي إيلات) لها مثيل حيث تزعم التوراة أن هاجر أم إسماعيل عندما أجهدها العطش هي وابنها إسماعيل بعد أن طُردا من وجه «سارة» طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيا ملاك «الرب» في المكان المعروف الآن «ببئر سبع»؛ وأنها سميت بذلك لذلك..، وكما كذبت فاران دعوى «إيلات» كذّبت «زمزم» الطهور «دعوى «بئر سبع».

وستظل فاران - مكة المكرمة - وزمزم الطهور «عملاقين» تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى.

- ٢ -

ويجيء نص آخر في التوراة لا مجمل له إلا البشارة برسول الإسلام - ﷺ - مهما غالط المغالطون. وهو قول الله لموسى حسب ما تروى التوراة:

«أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بأسمي أنا أطالبه»[1].

حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى في آخر عهده بالرسالة، وكان يهمه أمر بني إسرائيل من بعده، فأعلمه الله - حسب هذه

(١) سفر التثنية: الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨ - ١٩).

الرواية التوراتية ـ أنه سيبعث فيهم رسولاً مثل موسى ـ عليه السلام ـ.

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد ـ ﷺ ـ فقد وقف أهل الكتابين ـ اليهود والنصارى ـ موقفين مختلفين هدفهما واحد، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام.

أما اليهود فلهم فيه رأيان:

الأول: أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هى نفى، ويقدرون قبل الفعل «أأقيم» همزة استفهام يكون الاستفهام معها «إنكارياً» وتقدير النص عندهم هكذا «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك...؟!».

ويكون المعنى عليه: كيف أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم؟ أى لا أفعل هذا.

بطلان هذا الرأى

وهذا الرأى باطل ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكارى محذوفة هى فى قوة المذكور لكان الكلام نفياً فعلاً... ولو كان الكلام نفياً لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك:

«ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه»! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النبى الذى وعد به المقطع الذى قبله. فدل هذا «العطف» على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لا نفى. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام.

الثانى: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا لا مانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً، ولكنه ليس المقصود به عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ـ ﷺ ـ، بل المراد به نبى من أنبياء إسرائيل يوشع ابن نون فتى موسى، أو صموئيل.

موقف النصارى

أما النصارى فيحملون البشارة فى النص على عيسى - عليه السلام - وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم -، وقد علمنا قبلا أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام.

وللنصارى مغالطات عجيبة فى ذلك إذ يقولون إن النبى الموعود به ليس من بنى إسماعيل بل من بنى إسرائيل. ومحمد إسماعيلى فكيف يرسل الله إلى بنى إسرائيل رجلاً ليس منهم؟! كما قالوا إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله. وقد رددنا على هذه الفرية فيما تقدم.

الحق الذى لا جدال فيه

والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل. باطل. ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه. أما الحق الذى لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - وإليكم البيان:

إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبى الموعود به فيه شرطين:

أحدهما: أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى - عليه السلام - صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله وهذان الشرطان لا وجود لهما لا فى يوشع بن نون، ولا فى صموئيل كما يدعى اليهود فى أحد قوليهم.

ولا فى عيسى - عليه السلام - كما يدعى النصارى.

أما عن انتفاء الشرط الأول، فلأن: يوشع وصموئيل وعيسى من بنى إسرائيل وليسوا من وسط إخوة بنى إسرائيل. ولو كان المراد واحداً منهم لقال

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) البقرة: ١٢٩.

فى الوعد: أقيم لهم نبيا منهم. هذا هو منهج الوحى فى مثل هذه الأمور كما قال فى شأن النبى ﷺ:

﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ... ﴾(١). وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ.. ﴾(٢).

وأما انتفاء الشرط الثانى، فلأن: لا صموئيل ولا يوشع ولا عيسى ابن مريم مثل «موسى» عليه السلام.

فموسى كان صاحب شريعة، ويوشع وصموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى - عليه السلام - من بنى إسرائيل لم يكن واحد منهم صاحب شريعة، وإنما كانوا على شريعة موسى عليه السلام. وحتى عيسى ما جاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً فشريعة موسى هى الأصل. إن عيسى كان مذكراً لبنى إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدى من شريعة موسى عليه السلام!! فالمثلية بين هؤلاء - وهى أحد شرطى البشارة - وبين موسى عليه السلام لا وجود لها.

الشرطان متحققان فى رسول الإسلام ﷺ

وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفى الشرطان بهما عمن ذكروا من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله ﷺ:

فهو من نسل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق، الذى هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من وسط إخوة بنى إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من بنى إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطى البشارة:

ومحمد - عليه الصلاة والسلام - صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بنى إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التى لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى - عليه السلام.

وبهذا يتحقق الشرط الثانى من شرطى البشارة وهو «المثلية» بين موسى

ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه)، فعلى القارئ أن يتأمل ثم يحكم.

ـ ٣ ـ

فى المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام ورد كثير من العبارات التى لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام. ومن ذلك قول داود كما تروى التوراة:

ـ أ ـ

«أنت أبرع جمالاً من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاؤك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة... بتلك المسنونة فى قلب أعداء الملك، يعنى الله ـ شعوب تحتك يسقطون.. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك»[1].

ـ ب ـ

اسمعى يانيت وأميلى أذنك، وانسى شعبك وبيت أبيك، فيشتهى الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له. وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. كلما مجد ابنة الملك فى خدرها. منسوجة بذهب ملابسها مطرزة، تحضر إلى الملك فى إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك. عوضاً عن آبائك يكون بنوك نقيمهم رؤساء فى كل الأرض أذكر اسمك فى كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد».

وقفة مع هذا الكلام

فى المقطع الأول (أ) لا تنطبق الأوصاف التى ذكرها داود إلا على رسول الإسلام ـ ﷺ ـ. فهو الذى قاتل بسيفه فى سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم.

---

(١) المزمور (٤٥) الفقرات (٢ ـ ١٧) مع الحذف اليسير.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء؛ لأنه خاتم النبيين، ورسالته عامة خالدة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢).

ولم يترك رسول هدى وبياناً مثلما ترك رسول الإسلام فى القرآن الحكيم، وفى أحاديثه وتوجيهاته، التى بلغت مئات الآلاف، وتعددت المصادر التى سجلتها، وفيها من روائع البيان، وصفاء الألفاظ، وشرف المعانى ما ليس فى غيرها.

أما المقطع الثانى (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهى التى تترضاها الأمم بالهدايا. وهى ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة، وهى التى يذكر اسمها فى كل دور فدور وتأتيها قوافل «الحجيج» رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع فى «قصر الملك» ويحمدها الناس إلى الأبد؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن. بل والملائكة. وفى مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة.

خالدة: لم ينته العمل بها بوفاة رسولها، كما هو الحال فيما تقدم. وإنما هى دين الله إلى أبد الآباد.

ـ ٤ ـ

وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم ملىء بالإشارات الواضحة التى تبشر برسول الإسلام ـ ﷺ ـ، ولولا المنهج الذى أخذنا به هنا وهو عدم التطويل لذكرنا من ذلك الكثير؛ ولذا فإننا نكتفى بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول:

«قومى استنيرى؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك... لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يرى. فتسير الأمور فى نورك، والملوك فى ضياء إشراقك.

ارفعى عينيك حواليك وانظرى. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يأتى بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدى، حينئذٍ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر، ويأتى إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجمال بكران مديان، وعيفة كلها تأتى من شبا. تحمل ذهباً ولباناً، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى، وأزين بيت جمالى.

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرنى وسفن ترشيش فى الأول لتأتى من بعيد، وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك....[1].

وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك.. وتفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تغلق، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم...[1].

دلالة هذه النصوص

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة.

فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد. ألم يشر النص إلى غنم قيدار، وقيدرار هو ولد إسماعيل - عليه السلام - الذى تشعبت منه قبائل العرب. ثم ألم ينص على المذبح الذى تنحر عليه الذبائح؟

كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة. وتلك الإشارات هى طرق حضور الحجاج إليها. ففى القديم كانت وسائل النقل: ركوب الجمال. ثم السفن. أما فى العصر الحديث فقد وجدت وسيلة النقل الجوى «الطائرات» وبشارة أشعيا تضمنت هذه

(١) مكان النقط هنا كلام لم نذكره هو «قدوس إسرائيل لأنه مجدك»!؟ وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر!!

الوسائل الثلاث على النحو الآتى:

١ ـ **الجمال، قال فيها:** تغطيك كثرة الجمال؟!

٢ ـ **السفر، قال فيها:** وسفن ترشيش تأتى ببنيك من بعيد؟!

٣ ـ **النقل الجوى، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها؟!**

أليس هذا أوضح من الشمس فى كبد السماء.

على أن النص ملىء بعد ذلك بالدقائق والأسرار، ومنها أن مكة مفتوحة الأبواب ليلاً ونهاراً لكل قادم فى حج أو عمرة..؟!

ومنها أن خيرات الأمم تجبى إليها من كل مكان، والقرآن يقرر هذا المعنى فى قول الله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٢).

ومنها أن بنى الغريب (يعنى غير العرب) يبنون أسوارها. وكم من الأيدى العاملة الآن، وذوى الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت فى محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه «العاصمة المقدسة» فظلت بمأمن من شارات الغائرين وكيد الكائدين، ومثلها المدينة المنورة.

ومنها كثرة الثروات التى مَنَّ الله بها عليها. أليس البترول من ثروات البحر العظمى التى تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيوناً دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم. أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة.

والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدى بعثته ـ ﷺ ـ.

هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود)

---

(١) سفر أشعياء الإصحاح (٦٠) الفقرات (٤ ـ ١٢) مع حذف يسير.

(٢) القصص: ٥٧.

يحملون هذه الأوصاف على مدينة «صهيون» ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم.

ولكننا نضع الأمر بين يدى المنصفين من كل ملة. أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة «صهيون».

لقد خرب «بيت الرب» فى القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء، ثم أين ثروات البحر والبر التى تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم.

وأين هى المواكب التى تأتى إليها براً وبحراً وجواً، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها.

وما صلة غنم قيدار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذى يشق عنان السماء منها.. وأين... وأين..؟

إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق، ونحن يكفينا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى، ولا يهمنا أن يذعن القوم لما نقول فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق الذى تدافع عنه.

والفاصل بيننا ـ فى النهاية ـ هو الله الذى لا يبدل القول لديه.

ـ ٥ ـ

وتنسب التوراة إلى نبى يدعى «حبقوق» من أنبياء العهد القديم، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات. تنسب إليه التوراة نصوصاً كان يصلى بها. تضمنها الإصحاح الثالث من سفره. وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام ـ ﷺ ـ. وإليكم مقاطع منه: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران ـ سلاه ـ جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يديه شعاع، وهناك استتار قدرته.

قدامه ذهب الوبأ. وعند رجليه خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القوم.

مسالك الأزل له..................

يسخط دسست الأمم، خرجت لخلاص شعبك.... سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق... سلكت البحر بخيلك..[1].

دلالات هذه الإشارات

لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعانى التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام - ﷺ -. فالجهتان المذكورتان فى مطلع هذا المقطع وهما: تيمان: يعنى اليمن، وجبل فاران: يعنى جبل النور الذى بمكة المكرمة التى هى فاران. هاتان الجهتان عربيتان. وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً أوليا لرسالة محمد ﷺ.

فليس المراد إذن نبيا من بنى إسرائيل؛ لأنه معلوم أن رسل بنى إسرائيل كانت تأتى من جهة الشام شمالاً. لا من جهة بلاد العرب. وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة، التى تقدم ذكرها من سفر التثنية، وقد ذكرت أن الله: تلألأ أو استعلن من جبل فاران.

بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى - عليه السلام - والتبشير بعيسى - عليه السلام - ومحمد - ﷺ -.

أما بشارة حبقوق فهى خاصة برسول الإسلام ﷺ. ولو لم يكن فى كلام حبقوق إلا هذا «التحديد» لكان ذلك كافياً فى اختصاص بشارته برسول الإسلام - ﷺ - ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى:

منها: الإشارة إلى كثرة التسبيح حتى امتلأت منه الأرض...؟!

(١) (٣ - ٣ - ١٥) مع الحذف.

ومنها: دكه - ﷺ - لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة.

ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر، وهذا لم يحدث إلا فى ظل رسالة الإسلام.

على أن كلام حبقوق ملىء بالرمز والإشارات مما يفيدنا فى هذا المجال ولكننا نتجاوزه لأمرين:

أحدهما: أن فى الإشارات الصريحة غناء عنها.

وثانيهما: عدم التطويل - هنا - كما اتفقنا.



البشارة به - ﷺ - فى العهد الجديد (الإنجيل)

أسفار العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التى يتعين أن تكون «بشارات» برسول الإسلام ﷺ.

تلك البشارات تعلن أحياناً فى صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات. وأحياناً أخرى بالروح القدس. ومرات باسم المعزى أو الفارقليط، وهى كلمة يونانية سيأتى فيما بعد معناها، تلك هى صورة البشارات فى الأناجيل فى صيغها المعروفة الآن.

- ١ -

ففى إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى - عليه السلام - المسمى فى الأناجيل: يوحنا المعمدان. وفيها يقول: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات»[١].

فمن هو ملكوت السماوات الذى بشر به يحيى؟! هل هو عيسى - عليه السلام - كما يقول النصارى..؟!

هذا احتمال... ولكن متَّى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى - عليه السلام - نفس العبارة: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات»[٢].

(١) الإصحاح (٣) الفقرة (٢).

(٢) الإصحاح (٤) الفقرة (١٧).

فلو كان المراد بملكوت السماوات ـ هذه ـ عيسى ـ عليه السلام ـ لما وردت هذه «البشارة» على لسان عيسى؛ إذ كيف يبشر بنفسه، وهو قائم موجود، والبشارة لا تكون إلا بشىء محبوب سيأتى، كما أن الإنذار ـ قسيمه ـ لا يكون إلا بشىء «مكروه» قد يقع. فكلاهما: التبشير والإنذار ـ أمران مستقبلان.

إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى عليهما الإسلام. فدل ذلك على أن المراد بملكوت السماوات رسول آخر غير عيسى. ولم يأت بعد عيسى ـ باعتراف الجميع ـ رسول غير رسول الإسلام ﷺ.

فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السماوات فى عبارة عيسى ـ عليه السلام ـ قولاً واحداً ـ وباحتمال أرجح فى عبارة يحيى، إذا لا مانع عندنا ـ أن يكون يحيى ـ عليه السلام ـ قد بشر بها عيسى ـ عليه السلام.

أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل ـ القطعى ـ على رسول الإسلام ﷺ.

ـ ٢ ـ

وفى صيغة الصلاة التى علمها المسيح لتلاميذه ـ كما يروى متَّى نفسُه ـ بشارة أخرى بنبى الإسلام. وهذا هو نص متَّى فى هذا «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك»(١).

ووردت هذه الصيغة فى إنجيل لوقا هكذا:

«متى صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك..»(٢).

ويذكر (لوقا) أن المسيح جمع تلاميذه، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين،

(١) الإصحاح (٦) الفقرة (٩ ـ ١٠).

(٢) الإصحاح (١١) الفقرة (٢).

ويشفون الأمراض ثم قال: «وأرسلهم ليكرزوا ـ أى يبشروا ـ بملكوت الله»[1].

أما مرقس فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول: «جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله»[2].

فهؤلاء ثلاثة من التلامذة يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذى اقترب. فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام ﷺ؟

وأكاد أجزم بأن عبارة «المسيح»، قد كمل الزمان «لا تعنى سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة وإقبال الرسالة الخالدة..!

ـ ٣ ـ

أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل. فإنه يذكر هذه البشارات فى مواضع متعددة من إنجيله. ومن ذلك ما يرويه عن المسيح عليه السلام «الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزِّى (اسم من الفعل المضعف العين[3] عزى)[4] الروح القدس، الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بما قلته لكم»[5].

كما يروى يوحنا قول المسيح ـ الآتى مع تلاميذه: «إنه خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية، وعلى بر وعلى دينونة»[6].

ويروى كذلك قول المسيح لتلاميذه: «وأما إذا جاء ذاك روح الحق، فهو

---

(١) الإصحاح (٩) الفقرة (٢).　　(٢) الإصحاح (١) الفقرة (١٤ ـ ١٥).

(٣) عين الفعل هنا حرف الزاى والحرف المضعف هو فى الأصل حرفان الأول ساكن والثانى متحرك.

(٤) هذا إيضاح وليس من النص.

(٥) الإصحاحات (١٤) الفقرات (٢٤ ـ ٢٦).

(٦) الإصحاح (١٦) الفقرتان (٧ ـ ٨).

يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه. بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية»..؟!([1]).

فمن هو المعزى أو روح القدس أو روح الحق الذى بشر به المسيح - عليه السلام - حسبما يروى يوحنا..؟!

إن المسيح يقول:

إن ذلك المُعَزّى أو الروح القدس لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح، والمسيح - نفسه - يقر بأن ذلك المعزّى أو الروح أجلُّ منه شأناً، وأعم نفعاً وأبقى أثراً، ولذلك قال لتلاميذه: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّى.

وكلمة «خير» أفعل تفضيل([2]) بمعنى أكثر خيراً لكم ذهابى ليأتيكم المعزى ولو كان «المعزى» مساوياً للمسيح فى الدرجة لكانا مستويين فى الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق.

ومن باب أولى لو كان «المعزَّى» أقل فضلاً من المسيح. فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه، لا مساوٍ له ولا أقل.

ثم يصف المسيح ذلك المُعَزَّى أو الروح بأوصاف ليست موجودة فى المسيح نفسه عليه السلام. ومن تلك الأوصاف:

أ - إنه يعلم الناس كل شىء. وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح فى الدنيا والدين. وذلك هو الإسلام.

ب - إنه يبكت العالم على خطية. والشاهد هنا كلمة «العالم» وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر، عرباً وعجماً، فى كل زمان ومكان. ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام.

---

(١) الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣).

(٢) أصل التفضيل أن يشترك اثنان فى صفة ولكن أحدهما أشهر فى هذه الصفة من الآخر تقول محمد أعلم من حسن فقد اشترك الاثنان فى صفة العلم وزاد محمد عن حسن فيها.

جـ - إنه يخبر بأمور آتية، ويذكر بما مضى. وقد تحقق هذا فى رسالة محمد ﷺ.

فأخبر بأمور آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذى كان عليه نبيه - ﷺ - فكم فى القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر، وكم فيه من الإخبار بما سيكون فى الحياة الآخرة من أوصاف الجنة، والنار، والبعث، وعلامات الساعة، وتخاصم أهل النار، وحوار أصحاب الجنة مع «رجال الأعراف»، وندم من باعوا دينهم بدنياهم. إلخ.. إلخ.

وذكر بما مضى من أحوال الأمم، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء، ومسلك بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذى دار بين المحقين وأهل الباطل، وعاقبة بعض المكذبين.. إلخ.. إلخ..

ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فأرست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة، ووضعت أصول التشريع فى كل ما هو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق، وبين الناس بعضهم بعضاً. وحررت العقول، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة. أى أنها أرشدت إلى كل شىء. وعلمت كل شىء مما يحتاج تعلمه إلى وحى وتوقيف...!

ذلك هو الإسلام، ولا شىء غير الإسلام.

وشهدت - فيما شهدت - للمسيح - عليه السلام - بأنه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بنى إسرائيل. وأنه عبده ورسوله ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾(١).

وشهادة رسول الإسلام ﷺ لعيسى - عليه السلام - منصوص عليها فى بشارات

(١) مريم: ٣٤.

عيسى نفسه به - ﷺ -. فاسمع إلى يوحنا وهو يروى عن المسيح - عليه السلام - قوله الآتى: «ومتى جاء المعزَّى الذى سأرسله» أنا «إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى... وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء»(١).

روح القدس هذا، أو المعزَّى، أو روح الحق لا يمكن أن يكون عيسى؛ لأن عيسى لم يبشر بنفسه، وهو كان موجوداً ساعة أن قال هذا ولا يمكن أن يكون المراد به نبيا بعد عيسى غير محمد - ﷺ - لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبى قبل رسول الإسلام ﷺ.

فتعين أن يكون روح القدس، أو المعزَّى، أو روح الحق تبشيراً بمحمد - ﷺ - إن فيه تجتمع تلك الأوصاف، كما يتحقق فيه معنى، «الأفضلية» إذ هو خاتم النبيين، الذى جاء بشريعة خالدة عامة، وعلى هذا حملنا قبلاً قول عيسى: «خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتكم المُعَزِّى».

وهذا إقرار من عيسى بأن المبشر به أفضل من المُبَشِّر وكفى بذلك شواهد.

- ٤ -

أما البشارة باسم «الفارقليط» فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس. ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع للترجمات وطبعات متعددة؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافاً بيناً.

وتحت يدى - الآن - نسختان من الطبعات العربية كلتاهما خاليتان من كلمة الفارقليط، وموضوع مكانها كلمة المعزى.

بيد أننى وجدت أن ابن القيم، وابن تيمية، كل منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصاً فيها التصريح باسم «الفارقليط» كما أن الشيخ رحمت الله الهندى - رحمه الله - نقل فى كتابه «إظهار الحق» نصوصاً عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام: ١٨٢١ - ١٨٣١ - ١٨٤٤م وتمت فى لندن.

---

(٢) الإصحاح (١٥) فقرتا (٢٦ - ٢٧).

معنى «الفارقليط»:

كلمة يونانية معناها واحد مما يأتى:

الحامد ـ الحماد ـ المحمود ـ الأحمد.

أو معناها كل ما تقدم. فمعنى «فارقليط» يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها.

وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام ـ ﷺ ـ فهو الحامد والحمّاد والمحمود والأحمد، والمحمد.

وفى الطبعات ـ اللندنية ـ المتقدم ذكرها ورد النص هكذا: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر، ليثبت معكم إلى الأبد.

«الفارقليط» روح القدس الذى يرسل الأب باسمى هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم»(١).

ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذى نقلناه آنفاً عن إنجيل يوحنا من الطبعات العربية الحديثة تريك أن الطبعات الحديثة حذفت كلمة «الفارقليط» ووضعت مكانها كلمة «المعزى» كما تريك أن الطبعات الحديثة حذفت جملة: «ليثبت معكم إلى الأبد» وهو نص على خلود الإسلام على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة «المعزى» التى فى الطبعات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجم عن كلمة يونانية لفظاً ومعنى وهى «باراكليتس» ومعناها المعزى، وليست «فارقليط» أو «بارقليط» التى معناها الحماد والحامد.. والتى يتمسك بها المسلمون..؟!

وهذه المحاولات مردودة لسببين:

(١) انظر كتاب «إظهار الحق» ص٥٢٨ للشيخ رحمت الله الهندى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا. نشر دار التراث.

أولهما: ليس نحن - المسلمين - الذين قاموا بعمل الطبعات القديمة التى فيها «الفارقليط» وإنما طبعها النصارى قديماً. فعملهم حجة على الطبعات الحديثة وهم غير متهمين فى عملهم هذا.

وثانيهما: ولو كانت الكلمة هى: «الباراكليتس» فلماذا خلت منها الطبعات القديمة والنسخ المخطوطة؟!

بل ولماذا خلت منها الطبعات الحديثة..؟!

وأيا كان المدار: فارقليط، أو باراكليتس، أو المعزى، أو الروح القدس فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التى أجريت عليها. مثل يعلمكم كل شىء - يمكث معكم إلى الأبد. فهذه الأوصاف هى لرسول الإسلام - ﷺ - ومهما اجتهدتم فى صرفها عنه فلن تتصرف.

ولهم «شبهة» أخرى يحلو لهم ترددها وهى: محمد - ﷺ - عربى الجنس واللسان، فكيف يرسله الله إلى أمم وأجناس غير عربية.. وكيف يكلف الله الناس برسالة لا يعرفون لغتها ولا عهد لهم بالتحدث معها. وكيف يستطيعون أن يفهموا القرآن، وتوجيهات رسول الإسلام، وهما باللغة العربية؟!

رد الشبهة

نرد عليها من طريقين:

الأول: وهو مستمد من واقع القوم أنفسهم. فهم يدعون تبعاً لما قال «بولس» أن عيسى - عليه السلام - مرسل لخلاص العالم كله. وأنه أمر حوارييه أن يكرزوا كل العالم رسالة الخلاص، وفى أيامنا هذه كثرت المنشورات التى تقول: المسيح مخلص العالم. وهنا نسأل القوم سؤالاً: أية لغة كانت لغة المسيح عليه السلام وحوارييه؟! هل هى العبرانية أم اليونانية؟! وأياً كان الجواب فإن المسيح كان يتكلم لغة واحدة. وأوحى إليه الإنجيل بلغة واحدة.. فعلى أى أساس إذن قلتم: إنه منقذ لكل العالم؟! هل كل العالم كان ولا يزال يعرف لغة المسيح؟! أم أن

العالم أيام المسيح كان يتكلم بعدة لغات.. والآن يتكلم بمئات اللغات..؟! فإن كنتم قد ادعيتم أن المسيح هو منقذ كل العالم مع تسليمكم بأنه كان يتكلم بلغة واحدة فلماذا تنكرون على رسول الإسلام أن يكون مرسلاً لكل العالم؟! وما الفرق بين رسول الإسلام - ﷺ - والمسيح - عليه السلام - حتى تحظروا عليه ما استبحتموه للمسيح؟! أهذا عدل.. أهذا إنصاف!!

الثانى: وهو مستمد من طبيعة الإسلام. ومن تاريخه الطويل الحافل بكل عجيب.

نعم: إن محمداً - ﷺ - عربى اللسان، والجنس، والقرآن العظيم الذى جاء به عربى اللسان، عالمى التوجيه والتشريع والسلطان. ووحدة اللغة فى الإسلام مثل وحدة العقيدة فيه. ولم يحل دون انتشار الإسلام بين الأمم والشعوب غير العربية إن لغة رسالته عربية ورسوله عربى ورواده الأوائل عرب. هذه الاعتبارات لم تحل دون نشر الإسلام لجميع شعوب الأرض باختلاف لغاتها وعقائدها وأجناسها. وكان سلوك الدعوة إلى الإسلام حكيماً، وهذه أبرز ملامحه.

أولاً: إن صاحب الدعوة - ﷺ - أرسل رسله يحملون رسائله وكتبه إلى كل رؤساء القبائل وملوك الأمم والشعوب، وقد بدأت هذه الطريقة بعد وقوع صلح الحديبية، وكل حامل رسالة أو كتاب إلى رئيس أو ملك كان على علم بلغة المبعوث إليهم.

فقد أرسل النبى - ﷺ - إلى هرقل دِحْيَةَ بن خليفة الكلبى.

وأرسل إلى المقوقس عظيم القبط بمصر حاطب بن أبى بلتعة. وأرسل إلى كسرى عبد الله بن حُذَافَة السَّهْمِىَّ.

وأرسل إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى شجاع بن ذهب الأسدى. وكان هؤلاء الرسل عالمين بلغات من أُرْسلوا إليهم.

كما كان - ﷺ - يحتفظ بمترجمين يترجمون له ما يرد من رسائل لغتها غير العربية.

ثانياً: إن الملوك والرؤساء كان لديهم مترجمون ـ كذلك ـ يترجمون لهم ما يرد من رسول الإسلام أو يقومون بالترجمة من العربية إلى غيرها، ومن غير العربية إلى العربية فى حالة ما إذا كان «المرسل» وفداً يحمل رسائل شفوية للتبليغ.

ثالثاً: إن اليهود وكثيراً من النصارى كانوا يعرفون اللسان العربى، ومن النصارى من هم عرب خلص كنصارى نجران، كما أن العجم من الفرس والروم كان من بينهم عرب يعايشونهم ويقيمون بينهم.

رابعاً: كان صاحب الدعوة ـ ﷺ ـ يحض أصحابه على تعلم لغات الأمم ومما يروى عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قوله: من تعلم لغة قوم أمن غوائلهم.

خامساً: لما اجتازت الدعوة مرحلة الدعوة بالرسالة والكتاب والوفد، والبعث، ودخلت فى مرحلة الفتح كان الجنود المسلمون وينشرون اللغة العربية كما ينشرون الإسلام نفسه. وما من أرض حل بها الإسلام إلا وقد حلت بها اللغة العربية تعضده، وتؤازره فى انسجام عجيب، فقضت اللغة العربية على لغات الأمم والشعوب وحلت هى محلها. قضت على القبطية فى مصر وعلى الفارسية وعلى البربرية فى شمال غرب أفريقيا كما قضت على السريانية وغيرها من اللغات، وأصبحت هى لغة الحياة والإدارة والكتابة والنشر والتأليف.

سادساً: قام العرب المسلمون بترجمة ما دعت إليه المصلحة من تراث الأمم المفتوحة، ففتحوا نوافذ الفكر، والثقافة، والمعرفة لمن لا يعرف غير العربية من العرب المسلمين. كما ترجموا من الفكر الإسلامى ما يصلح ضرورة لغير العرب من المسلمين فنقلوه من العربية إلى غير العربية وفاء بحق الدعوة والتبليغ.

سابعاً: أقبل غير العرب من الذين دخلوا الإسلام على تعلم العربية وتركوا لغاتهم الأصلية وأصبحوا عربيى اللسان واللغة. ومن هؤلاء أعلام لا يحصون كان لهم فضل عظيم فى إنماء الفكر الإسلامى منهم اللغويون، والنحويون،

والبيانيون، والفلاسفة، والمناطقة، والرياضيون، والأطباء، والفلكيون، بل والشعراء والأدباء والرحالة والجغرافيون، وغيرهم، وغيرهم.

إن كل مجال من مجالات النشاط العلمى فى الإسلام نبغ فيه كثير من غير العرب بعد تعلمهم اللغة العربية التى كانوا فيها مثل أنجب وأحذق وأمهر أبنائها. ولو رحنا نحصى هؤلاء لضاق بنا السهل والوعر، فلتكن الإشارة إليهم نائباً عن ذلك التفصيل غير المستطاع[1].

إن وحدة اللغة فى الإسلام لم تحل دون نشر الإسلام، فلم يمض طويل من الزمن حتى بلغت الدعوة مشارق الأرض ومغاربها.

وصلت إلى الهند والصين فى أقصى الشرق، وإلى شواطئ المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب وإلى بلاد النوبة جنوباً وإلى جبال البرانس جنوبى فرنسا شمالاً. وتوطدت فى قلب الكون:

الحجاز واليمن والشام وفارس وبلاد ما بين النهرين وما وراء النهرين ومصر وجنوب الوادى، وتركت اللغة العربية الواحدة آثارها فى كل قطر أشرقت فيه شمس الإسلام، حتى ما فارقه الإسلام ـ كأسبانيا ـ ما تزال حضارة الإسلام وآثار العربية تغزو كل بيت فيها. وكما استوعب الإسلام مناهج الإصلاح فى كل مجالات الحياة الإنسانية استوعبت شقيقته الكبرى «اللغة العربية» كل أنماط التعبير ووسعت بسلطانها كل وسائل التسجيل والتدوين... وامتلكت ناصية البيان الرائع الجميل، فهى لغة علم، ولغة فن ومشاعر، ووجدان. وقانون وسلام وحرب، ودين ودنيا.

إن أكثر من ألف مليون مسلم ينتشرون فى ربوع الأرض الآن لم يعجز الكثير منهم من غير العرب عن حفظ كتاب الله «القرآن العظيم» ويتلونه كما أنزل بلسان عربى فصيح. فإذا عاد إلى حديثه اليومى لجأ إلى لغة أمه وأبيه وبيئته.

---

(١) ولا يغيب عنا فى هذا المجال الإمام البخارى شيخ المحدثين كمثل.

ومسلم غير عربى استطاع أن يحفظ أو يقرأ القرآن بلغته العربية الفصحى لهو قادر ـ لو أدى المسلمون العرب واجبهم نحو لغة التنزيل ـ أن يقرأ بها كتب الحديث، والفقه، والتشريع، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب وسائر العلوم والفنون.

ولكنه ذنب العرب المسلمين لا ذنب اللغة. فهى مطواعة لمن يريد أن يتقنها إن وجد معلماً مخلصاً. والأمل كبير ـ الآن ـ فى أن يلتقى كل المسلمين على لغة واحدة، كما التقوا على عقيدة واحدة.

إن رسول الإسلام ـ ﷺ ـ عالمى الدعوة وإن كان عربى اللسان والجنس.

وإن الإسلام الحنيف عالمى التوجيه والسلطان وإن كانت لغة تنزيله عربية ورسوله عربيّاً، ورواده الأوائل عرباً.



شبهة

موت الرسول - ﷺ - متأثراً بسم الشاة

الرد على الشبهة

اعترض النصارى على افتخار المسلمين بأن الله قد جمع للنبى الكريم - ﷺ - الشهادة إلى سائر فضائله فمات متأثراً بسم الشاة التى أهدته امرأة يهودية يوم خيبر، على أساس أن ذلك يتنافى مع عصمته (صلوات الله وسلامه عليه) وذلك يرجع إلى جهلهم بالمعانى الشرعية فعصمة رسول الله قد تمت كما وعده ربه عز وجل لأن هذه العصمة هدفها تمكينه من تبليغ الرسالة وهى مقترنة بها كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

وذلك قد حدث بنعمة الله، فإذا ما بلغ الرسول الأمين الرسالة فهو بلا شك عائدٌ إلى ربه وأفضل الموت ما كان فى سبيل الله وقد قال رسول الله ﷺ: **«تضمن الله لمن خرج فى سبيله، لا يخرجه إلا جهاداً فى سبيلى، وإيماناً بى، وتصديقاً برسلى. فهو على ضامن أن أدخله الجنة. أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه. نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذى نفس محمد بيده! ما من كلم يكلم فى سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه مسك. والذى نفس محمد بيده! لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً. ولكن لا أجد سعة. ولا يجدون سعة.**

ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى. والذى نفس محمد بيده! لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل. ثم أغزو فأقتل. ثم أغزو فأقتل» لما علم من أجر الشهيد. فقدر الله له هذه الوفاة الطيبة لتكتمل فضائله - عليه السلام، والله يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، ويقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

وقصة شاة خيبر هى من شمائل نبوته ودلائل عصمته لو كانوا يعلمون فقد روى ابن كثير عن ابن إسحاق قال: لما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له امرأة يهودية شاة مصلية وقد سألت أى عضو أحب إلى رسول الله - ﷺ -؟ فقيل لها الذراع فأكثرت من السم فيها، ثم سممت الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة لم يسغها ومعه بشر بن براء قد أخذ منها كما أخذ رسول الله - ﷺ - فأما بشر فأساغها وأما رسول الله - ﷺ - فلفظها ثم قال: **«إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم»** (وهذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام) ثم دعا بها فاعترفت، فقال: **«ما حملك على ذلك؟»** قالت: بلغنى ما لم يخف عليك فقلت إن كان كذاباً استرحنا منه وإن كان نبيّاً فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله ومات بشر من أكلته، أما رسول الله فلم يمت إلا بعد هذه الواقعة بثلاث سنوات كاملة كانت هذه السنوات من أهم مراحل الدعوة النبوية ففيها فتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وحج النبى - ﷺ - حجة الوداع واكتملت الشريعة.

وقد جاءت الإرهاصات التى تشير إلى قرب أجل النبى - ﷺ - قبل مرض موته وبينما كان فى أوج فتوحاته وانتصارته ومنها ما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، ولم ينزل بعد هذه الآية أى من آيات الأحكام ولا يقولون جاهل إن سورة المائدة فيها أحكام فى مواضع لاحقة عن هذه الآية لأن

الترتيب كان وفق ما يقرره الوحى فكان رسول الله يقول: **«ضعوا هذه الآية على رأس المائة من سورة كذا»** وضعوا تلك الآية على رأس المائتين من سورة كذا» وكذلك من الإرهاصات التى جاءت فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر)

فكانت هذه السورة إشارة رقيقة إلى أن رسول الله - ﷺ - أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح للأمة وعليه الآن أن يستعد للرحيل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام فكان رسول الله - ﷺ - لا ينقطع عن القول فى ركوعه: **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لى»** فى كل صلواته - ﷺ -.

وأيضاً ما رواه البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من ليالى رمضان فيدارسه القرآن فكان جبريل يقرأ والنبى يسمع حينا والنبى يقرأ وجبريل يسمع حينا حتى كان العام الذى توفى فيه الرسول فعارضه جبريل بالقرآن مرتين لذا قال رسول الله - ﷺ -: **«ما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلى»** وقد شهد العرضة الأخيرة أحد مشاهير كتاب الوحى وهو زيد بن ثابت الأنصارى.

ومنها ما ورد عن أبو مُوَيْهِبَة مولى رسول الله - ﷺ - قال: أيقظنى رسول الله - ﷺ - ليلة وقال: إنى أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معى فانطلقت معه - ﷺ - فسلم عليهم ثم قال: ليهنئكم ما أصبحتم فيه، قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ثم قال: قد أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى فاخترت لقاء ربى، ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف. فبدأ مرضه الذى قبض فيه.

ومنها ما ورد عن أم المؤمنين عائشة قالت: فما رجع من البقيع وجدنى وأنا أشكو صداعا وأقول: وارأساه! قال ﷺ: بل أنا والله يا عائشة وارأساه! ثم

قال: ما بالك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك؟ فقلت: فكأنى بك والله لو فعلت ذلك فرجعت إلى بيتى فعرُست ببعض نسائك.

فتبسم وتتام به وجعه وتمرض فى بيتى. فخرج منه يوماً بين رجلين أحدهما الفضل بن العباس والآخر على قال الفضل: فأخرجته حتى جلس على المنبر فحمد الله وكان أول ما تكلم به النبى - ﷺ - أن سلم على أصحاب أحد فأكثر واستغفر لهم ثم قال: أيها الناس إنه قد دنا منى حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه ومن أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأنى وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقّاً إن كان له أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس.

ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر فعاد إلى مقولته الأولى فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ثم قال - ﷺ -: أيها الناس من كان عنده شىء فليؤده ولا يقول فضوح الدنيا ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال: إن عبداً خيّره الله بين الدنيا وما عنده فاختار ما عنده. فبكى أبو بكر وقال: فديناك بأنفسنا وآبائنا! فقال رسول الله - ﷺ - لا يبقين فى المسجد باب إلا باب أبى بكر فإنى لا أعلم أحداً أفضل فى الصحبة عندى منه ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام.

ومنها أيضاً ما ورد أنه لما اشتد برسول الله - ﷺ - ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: واكرباه فتقول فاطمة: واكربى على كربتك يا أبتى فيقول رسول الله ﷺ: - لا كرب على أبيك بعد اليوم، فلما رأى شدة جزعها استدها وسارها، فبكت ثم سارها فضحكت، فلما توفى رسول الله - ﷺ - سألتها عائشة عن ذلك فقالت: أخبرنى أبى أنه ميت فبكيت ثم أخبرنى أنى أول أهله لحوقاً به فضحكت.

وقد ماتت رضي الله عنها - بعد رسول الله - ﷺ - بستة أشهر).

وقالت أم المؤمنين عائشة: وكنت أسمع رسول الله - ﷺ - يقول كثيرا: إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره. فلما احتضر كانت آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول: بل الرفيق الأعلى. قالت: قلت إذاً والله لا يختارنا وعلمت أنه يُخَيَّر.

ونقول للمتنطعين الذين يقولون إن عصمة رسول الله - ﷺ - ليست معجزة وأن أى إنسان يمكنه ادعاءها، فأقول لهم: وهل كان الرسول - ﷺ - كأى إنسان؟ إنه باعتراف مؤرخى الشرق والغرب أعظم شخصية عرفها التاريخ وأعظم قائد دينى وسياسى. وأعداؤه كانوا أكثر من أن يحصوا من اليهود والنصارى والوثنيين والمجوس والمنافقين وكلهم حاول اغتياله والقضاء على دعوته المباركة وكان الرسول العظيم - ﷺ - يحرسه الصحبة من كيد الكافرين فلما أنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ **(المائدة: ٦٧)**.

وأخيراً نوجه السؤال إلى عباد الصليب ونقول قد جاء فى كتابكم: (إذا ظهر بينكم نبى أو صاحب أحلام، وتنبأ بوقوع آية أو أعجوبة. ٢ فتحققت تلك الآية أو الأعجوبة التى تنبأ بها، ثم قال: هلم نذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ونعبدها. ٣ فلا تصغوا إلى كلام ذلك النبى أو صاحب الأحلام، لأن الرب إلهكم يجربكم ليرى إن كنتم تحبونه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم... ٥ أما ذلك النبى أو الحالم فإنه يقتل) (التثنية ١٣: ١ - ٥).

فكيف الحال وقد قتل المسيح كما تزعمون بعد بدء دعوته بعام ونصف أو ثلاثة أعوام فقط على أحد الأقوال وبذلك يصدق فيه ذلك النص حرفيا ومسألة قيام المسيح لم يشهدها أحد من اليهود (الذين كان يُفترض أن يقدم لهم الآية) حتى تحتجوا بها!!

الخاتمة

اتضح مما سبق من شبهات أنها تعكس حقداً أصيلاً على محمد - ﷺ - فإذا ما تزوج اعترضوا وإذا ما طلق اعترضوا!! بل واتخذوا هذه الاعتراضات الواهية ذريعة ليكفروا بربهم العظيم ونبيه الكريم - ﷺ - وحقيقة الأمر أن رسول الله - ﷺ - حتى لو لم يكن قد تزوج على الإطلاق كانوا سيكفرون به لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

أما عن شبهاتهم الوهمية فمرجعها كلها إلى ثقافة هؤلاء القوم عن الزواج فهو عندهم شر لابد منه بل وعند البعض شر محض فهو الحلال الدنس!!

يقول ترتليانوس: «والشهوة فى الحقيقة هى سبب الزنا ألا يوجد مظهر من مظاهر الزنا فى الزواج حيث أنه متضمن فيه حيث أن نفس الأفعال تحدث فى الاثنين؟

والمسيح قال: «من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه».

ويستطرد قائلاً: وقد يسأل أحدهم (هل أنت بذلك تهدم أساس الزواج بامرأة واحدة أيضاً) نعم! ولكن ليس دون سبب وجيه، لأنه حتى هذه الزيجات أساسها نفس هذا الخزى وهو الزنا، ولذلك «حسن للرجل ألا يمس امرأة» (كورنثوس الأولى ٧: ١)، فلتشعر أنك بمركز أفضل إذا أتاح الله فرصة الزواج

مرة واحدة وإلى الأبد!! وأنك مدين بالشكر إذا علمت أنه لم يدعك تتورط مرة أخري وإلا فأنت تسىء إلى نفسك بالانغماس حيث أنك تستعمل الزواج بدون مقياس، أفلا يكفيك أن تسقط من قمة مرتبة البتولية الطاهرة إلى مرتبة أدنى بالزواج؟ فإنك بلا شك ستنحدر إلى هوة سحيقة بالزواج الثالث والرابع.

ففى ذلك اليوم ينطق بكلمة (الويل) على الحبالى والمرضعات (مرقس ١٣: ١٧ ومتى ٢٤: ١٩ ولوقا ٢١: ٢٣) سوف يحدث لك أى (الويل) قيل عن المتزوجين وغير الطاهرين لأن الزواج يعطى دوراً للأرحام والأثداء والرضع.

وقد حاول شنودة تبرير زواج إبراهيم بل وأكثر من مرة بأن السبب كان إحياء نسل فى زمن لم يكن فيه إيمان.

ويبرر بولس هذه الدعوة التى زرعها فى الفكر النصرانى قائلاً: «وأما العذاري فليس عندى أمر من الرب فيهنّ ولكننى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أميناً. فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا «كورنثوس ٧١: ٢٥» فها هو يفتينا برأيه ويقول صراحة هذا ليس بوحى ثم نجده فى الكتاب المقدس مسطوراً ويقول أيضاً: «فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته» «كورنثوس ٧١: ٣٢ - ٣٤).

وقد قال البابا يوحنا الذهبى: «إن للبتولية مزايا عملية فالعذراء تهرب من المشاغل والأحزان التى تشغل المرأة المتزوجة وتقلقها على عائلتها»!!! وعندما سئل عن احتمال فناء البشرية لو امتنع الناس عن الزواج فرد قائلاً: «إنها دائماً إرادة الله ولس النشاط الجنسى هو الذى سيخلق شعباً جديداً»!!!(١)

وطبعاً هذا الكلام المتهافت الصادر عن أناس انتكست فطرتهم فرأوا الحق باطلاً ورأو الباطل حقا لا يحتاج إلى جهد فى تفنيده فهؤلاء الذين يعيشون فى الوهم لم يفهموا أن قول المسيح: (من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها) لا

(١) ومن أين يأتى هذا الشعب.

يعنى أن الناس كلهم زناة حتى لو نظروا لزوجاتهم؟ وإنما يقصد من يطلق البصر للنساء الأجنبيات وذلك كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠).

أما القول بأن الزواج مثل الزنا لأنه يتضمن نفس الأفعال وأن الزواج أكثر من مرة هو سقوط فى الهاوية على حد زعم هؤلاء فهو كذب وافتراء فالزواج هو شىء فطرنا الله عليه ومن علينا به إذ يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

ونحن نرى أناسا يسجدون للشمس وأناسا يسجدون لله فهل يُذم الذين يسجدون لله العظيم لمجرد أن آخرين يسجدون بنفس الطريقة لآلهتهم الباطلة فأين هذا الهراء من قول رسول الله - ﷺ -: **«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال: أرأيتم لو وضعها فى الحرام أليس كان يكون عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال يكون له أجر»** فإن الله لم يخلق فينا الغرائز ليعذبنا بها وإنما أمرنا أن نحسن استعمالها فيما أرشدنا إليه وحينها نكون قد وصلنا إلى قمة العبودية لله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨).

أما عن قول البابا شنودة بأن زواج إبراهيم لغرض إحياء النسل المؤمن فهو قول حق أريد به باطل! وإلا فبماذا يفسر زواج إبراهيم من قطورة بعد إنجابه إسماعيل وإسحاق؟ (تل ٢٢: ١) وإذا كان التعدد ضد إرادة الله أساساً فلماذا لم يجعل الله نسل إبراهيم خليله كله من سارة وحدها وقد علمنا كيف أن الله مكنها من الإنجاب وهى عجوز، ألم يكن الله قادراً على جعلها تحمل مرة ثانية وثالثة إذا أراد بدا من أن يسمح لإبراهيم بالزواج الثانى الذى يعتبره النصارى

جريمة نكراء؟؟!

أما ادعاء بولس بأن الزواج يبعد الإنسان عن ربه وهو كما رأينا لا يكاد يبيح الزواج إلا فى حالة الخوف من الوقوع فى الزنا فجعله زواجا اضطراريا أو شراً أهون من شر. فأين ذلك من إسوتنا وقدوتنا رسول الله - ﷺ - الذى يقول: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ **(الروم: ٢١).**

قد علمنا الله ورسوله كيف نجعل من الزواج المبارك سبباً فى التقرب أكثر من طاعة الله وتأسيس أسرة مسلمة ونسل صالح وإدخال السعادة على الآباء بزواج أبنائهم وذرياتهم وفى الوقت ذاته علمنا عدم الانشغال بالأهل عن خدمة دين الله تعالى فقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

(الفتح: ١١).

وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ **(الكهف: ٤٦)**، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(المنافقون: ٩).

وقد كانت الفترة التى عدد فيها رسول الله - ﷺ - زوجاته هى أكثر فترات عمره عملاً وتضحية وجهاداً وتعليماً وأعباءً كما أنه كان أزهد الناس وأبعدهم عن الدنيا وزينتها وكان الله يريد لزوجاته أيضاً أن يكن بعيدات عن

الدنيا وزينتها إذ يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الأحزاب: ٢٨، ٢٩)، فهذا هو الفكر السوى الذى نتبعه فى الإسلام العظيم.

ونحن نتساءل: ماذا عن موسى ويعقوب وجدعون وسليمان وداود وغيرهم من الأنبياء الذين تزوجوا بل وعددوا بل ووصل عدد نساء البعض منهم إلى مئات الزوجات وهم أتقى الناس وأعبدهم وأعلمهم بالله؟!!

فهل سقط هؤلاء فى الهاوية التى نجى منها بولس وترتليانوس وأشباههما؟!

وبالنسبة للبابا يوحنا الذهبى الذى يتحدث عن إرادة الله فنقول له: إن إرادة الله كانت فى خلق آدم وحواء ونسلهما وإعطائهما الأعضاء المناسبة لذلك والعواطف المؤدية لذلك وقد أثبت العلم أن تأخير سن الزواج له مضار صحية ونفسية كالتهابات الجهاز البولى والتناسلى عند الرجل والأمراض الخبيثة عند المرأة ومرجع ذلك لاختلال وظائف الغدد وكبت عمل الأعضاء المخصصة للتناسل، وهل عدم الزواج خال من المشاكل؟

إن عدم الزواج هو المشاكل نفسها فأين تذهب المودة والرحمة والسكن؟!

وكما هو واضح فإن الجميع يتمسك بوصايا بولس رغم ما تحمله من أفكار خاطئة ومبادئ هدامة لا يقبلها عقل قويم أو فكر مستنير، وهل خلقنا الله لنكون ملائكة يمشون على الأرض؟ نعبده ليل نهار ولا نفتر أبداً؟؟ يا أصحاب العقول إن الله خلق الإنسان إنساناً وخلق الملاك ملاكاً وأمر الإنسان بما لم يفق طاقته وهو عبادة الله بإخلاص وبالوالدين إحساناً وأن نجتنب الفواحش ما ظهر وما بطن ولم يطلب منا أن نخرج من نطاق ادميتنا ونتحدى فطرتنا فى ما نعتقده وما نفعله كما تفعلون أنتم.

حتى إنى قرأت عن (قديسة) فى الكنيسة الكاثوليكية تركت ابنها الصغير

من أجل الرهبنة فجرى الطفل المسكين وراءها ونام على الأرض أمام الدير كى لا تمر أمه فمرت من فوقه وتخطته بكل قسوة ووقاحة وهو يبكى بشدة ولو كانت هذه الأنانية تفقه لعلمت أن كل إنسان راع وكل إنسان مسئول عن رعيته فهى التى جاءت بالطفل إلى الحياة ثم يتمته وحرمته من حنان الأمومة فى أشد فترات الاحتياج إليها لتسكن كالبلهاء فى دير وتركت ابنها للضياع.

وهذه القصة المثيرة للغثيان يذكرها هؤلاء بافتخار فهل توجد انتكاسة أكبر من هذه..

تم بعون الله والصلاة والسلام على رسل الله

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ العهد القديم والعهد الجديد.

٣ ـ الشمائل المحمدية والخصائل المطفوية ـ للإمام الترمذى.

٤ ـ السيرة النبوية ـ لابن هشام.

٥ ـ السيرة النبوية ـ لابن كثير.

٦ ـ صفوة السيرة النبوية.

٧ ـ أسباب النزول ـ للنيسابورى.

٨ ـ الكامل فى التاريخ ـ لابن الأثير.

٩ ـ المستشرقون فى الإسلام.

١٠ ـ موسوعة (المستشرقون) ـ لعبد الرحمن بدوى.

١١ ـ الاستشراق والتبشير ـ لمحمد السيد الجلنيد.

١٢ ـ شبهات حول الإسلام ـ لمحمد قطب.

١٣ ـ المستشرقون والإسلام ـ لمحمد قطب.

١٤ ـ السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ـ لعبد المتعال الجبرى.

١٥ ـ حقائق الإسلام وشبهات المتشككين ـ لمجموعة علماء.

١٦ ـ محمد وكيف نتعامل مع السنة النبوية ـ ليوسف القرضاوى.

ما تم ذكره هو المراجع الأصلية التى استندنا إليها

ولا يتسع المجال هنا لذكر المزيد


فهرس المحتويات



ومنذ اشرق محمد ﷺ بنوره.. يحاول اعداؤه حجب نوره بزوابع من ترابهم يرددها خلف عن سلف لا يحيدون عنها ولا ينفكون.. فمنذ مبعثه يزعمون تلقيه عن راهب نصرانى.. ويتحدثون عن تعدد زوجاته، وعن زواجه بزينب زوجة زيد الذى كان ابنه بالتبنى قبل ابطال التبنى.. ويتكلمون عن تعرضه ﷺ للسحر.. وغير ذلك من شبههم التى يريدون بها حجب نوره.. ويابى الله الا ان يتم نوره.. فقد انبرى علماء الامة للرد على ما اثاروه.. بيانا للحق ونصرا للنبى الاعظم.. وفى هذا الكتاب سترى ان شاء الله تعالى هذه الردود مبسوطة مؤيدة بكل دليل من الشرع والعقل السليم...





